الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشّاذلي بن جديد الطارف

كليّة الآداب واللّغات قسم اللّغة العربيّة وآدابها

تجليات الأنساق الثقافية في رواية أودوميا لـ:
ليلى محمد بوعكاز

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر (LMD)

الميدان: اللّغة والأدب العربي الشعبة: الدراسات الأدبية

التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذة:

–بشرى العسكري –فريدة دريدي

لجنــة المناقشــة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	مؤسسة الانتساب	الصفة
د. بريزة بهلول	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الطارف	رئيسا
د.فريدةدريدي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الطارف	مشرفا ومقررا
د.سامية كعوان	أستاذ محاضر (ب)	جامعة الطارف	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2026/2025

المقـدمة

مقدمة:

تعد الرواية من أبرز الأجناس الأدبية التي لاقت رواجا كبيرا بين الأدباء الغربيين والعرب.وقد مرت الرواية الجزائرية بمراحل متعددة، كان لها الأثر الإيجابي على تشكل وتطور البنية السردية والمضمونية، وقد عرفت في بدايتها تأخر مقابل نظيرتها في البلدان العربية الأخرى، إلا أن عزيمة الأدباء الجزائريين جعلتهم ينهضون بهذا الجنس الأدبي بقوة وهنا وضعت الرواية الجزائرية بصماتها على مستوى الساحة الإبداعية العربية والعالمية، بما تضمنته من أفكار وقضايا راهنة ، ويعد موضوع الأنساق الثقافية من أبرز المضامين التي كان لها الأثر الكبير في الساحة النقدية والإبداعية ، وبالتالي كانت وثيقة الصلة بالأنساق الثقافية المضمرة المرتبطة بالهوية وبالتاريخ والإنسان كفرد فاعل في المجتمع ، وهنا انساقت التجربة الإبداعية إلى دعوى النظرية الثقافية في تفسير العمل الأدبي، وهذا ما أسهم في تطوير الدراسات المعرفية والنقدية العربية خاصة والجزائرية على وجه التجديد، والدليل على ذلك وجود الكثير من الأعمال الإبداعية في الجزائر والعالم العربي مع بدايات العصر الحالي التي درست من المنظور النقدي الثقافي كما هو الشأن بالنسبة الموضوع الذي اخترناه في دراستنا، والذي كان تحت عنوان: تجليات الأنساق الثقافية في رواية أودوميا لليلى محمد بوعكاز.

-ولعل من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع منها الذاتية ومنها الموضوعية نذكر منها:

– إعجابنا "الشخصي بالرواية الجزائرية التي تعد جزءا مهما من الأدب الجزائري ورغبتنا في تعد جزءا مهما من الأدب الجزائري ورغبتنا في الكشف عن العلاقة بين الأدب وواقع المجتمع.

-رغبتنا في الكشف عن الأبعاد الثقافية الخفية التي تضمنتها الرواية، وامدى استيعابها للواقع المعاش بإيجابياتها وسلبياتها

-إثراء الجانب الأكاديمي في مجال النقد الثقافي خصوصا في ظل قلة الدراسات التي تناولت الرواية من وجهة نظر المقاربة الثقافية .

تكمن أهمية الدراسة في كونها مقاربة جديدة لرواية "أودوميا "من منظور آليات النقد الثقافي وثانيا محاولة لإبراز كيف تتحول البنية السردية إلى أداء يكشف عن البني اللاواعية التي تتحكم في الوعي الجمعي.

أما الأهداف من الموجودة في الدراسة، فتتمثل فيما يلي.

-الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة التي تضمنتها الرواية .

-إبراز كيفية تطويع الرواية للبنية السردية في مسائلة الأنساق السائدة في المجتمع الجزائري .

-إبراز القضايا الفكرية و الاجتماعية السائدة في المجتمع الجزائري، وتأثيرها على البنية الجمالية للنص الروائي.

ويقودنا هذا البحث بما يطرحه من أهداف وأهمية بالغة اقتضت دراسته، إلى طرح الإشكالية التالية: كيف تجلت الأنساق الثقافية في رواية أودوميا ، وما هي الأبعاد التي تطرحها هذه الأنساق؟

-وانبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من تساؤلات الفرعية نذكر منها،

ما هي أبرز الأنساق الثقافية في الرواية؟ وكيف طوعت الكاتبة مختلف آليات الخطاب السردي لخدمة النسق الثقافي بأنواعه المتعددة؟ و ما هي طبيعة العلاقة بين النص الروائي ومختلف الأنساق الثقافية التي ينتجها ؟

واستنادا إلى الإشكالية المطروحة، فرضت طبيعة الموضوع تقسيم الدراسة إلى مقدمة وفصلين وخاتمة تضم أهم النتائج التي توصلنا إليها . أما الفصل الأول فجاء بعنوان: الإطار النظري والمفاهيمي، جيث تطرقنا فيه إلى

الإحاطة بمختلف الجوانب النظرية للموضوع أهمها: مفهوم النسق والثقافة والنسق الثقافي والنقد الثقافي، وتسليط الضوء على أهم المراحل التي مرت بها الرواية الجزائرية، وقد وقفنا بتمعن في علاقة النسق بالرواية الجزائرية المعاصرة، باعتباره أبرز تيمة تضمنتها الرواية المعاصرة، أما الفصل الثاني فخصصناه للجانب التطبيقي وكان بعنوان: مظاهر الأنساق الثقافية في رواية أودوميا ، حيث قمنا بدراسة أهم الأنساق البارزة في الرواية أبرزها: النسق التراثي، والنسق الديني، والنسق الفلسفي،و نسق الذكورة والأنوثة، ونسق الموت والجريمة، إضافة إلى إبراز النسق الأدبي في بعديه الفني والجمالي، ثم جاءت الخاتمة كتلخيص وإجابة عن الإشكالية المطروحة، والأسئلة المتفرعة عنها، والتي ترتبط بمسار البحث في شقيه النظري والتطبيقي.

.اعتمدنا في بحثنا على توظيف منهج النقد الثقافي الذي يعنى برصد المكون الثقافي واستجلاء الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية، إضافة إلى الاستعانة ببعض آليات التأويل وبعض إجراءات المنهج السيميائي خاصة في استخراج وتحليل الحقول الدلالية.

اعتمدنا في انجاز بحثنا على جملة من المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع في بعده التنظيري والإجرائي نذكر منها: -عبد الله الغدامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية.

-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة.

- جون ستوري:النظرية الثقافية والثقافة الشعبية

ومن العقبات التي اعترضت بحثنا تعسر الحصول على بعض المراجع، إضافة إلى تشعب الدراسات الثقافية المرتبطة بحضور الأنساق الثقافية وارتباطها بالتأويل والتفكيك وقراءة ما بين السطور.

وفي الأخير أتقدم بأخلص عبارات الشكر والتقدير والامتنان للأستاذة المشرفة، التي كانت نعم المرافقة والمؤطرة لهذا الجهد البحثي، كما أشكر أعضاء اللجنة المناقشة على قراءتها وتقييمها للبحث فلكم منا كل عبارات الامتنان والتقدير، فدمتم منارة للعلم والمعرفة.

الفصل الأول : الإطار النظري للدراسة.

تمهيد:

يعد النقد الثقافي من أبرز النظريات النقدية المعاصرة والتي كان لها الأثر البالغ على الفكر النقدي بمختلف تصوراته وما تمليه هذه الدراسات من آليات النقد الثقافي وارتباطها بالإبداع السردي والروائي على وجه الخصوص، وتعد الرواية الجزائرية من أبرز الجهود الإبداعية التي استوعبت مختلف التغيرات والمستجدات في الساحة النقدية والإبداعية، كما انطلقت مما عاناه الإنسان ويعانيه من مختلف الصراعات التي فرضتها الحياة المعاصرة، ولعل ارتباط النسق بالرواية أمر محتوم ولا بد منه ، فلا يمكن أن نفصل الإبداع عن الثقافة السائدة ولا عن المتغيرات والمستجدات الحاصلة التي تعد بدورها تشكيلا لأنساق جديدة، ولأجل استجلاء مختلف الأنساق الثقافية وعلاقتها بالإبداع الروائي ، لا بد من أحد تصور نظري شامل حول أهم المصطلحات والمفاهيم التي تحيط بالموضوع.

أولا: مفهوم النسق الثقافي .

1- مفهوم النسق:

1-1- لغة:

تباينت المفاهيم اللغوية لكلمة "نسق" في المعاجم العربية.

يعرّف ابن منظور النسق في معجمه لسان العرب قوله: «النسق من كل شيء ما كان على نظام واحد، عام في الأشياء. ونسقته تنسيقاً، ونسق الشيء ينسقه نسقاً، ونسقه، نظمه على السواء... والنحويون يسمون العطف حرف النسق؛ لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحداً»[1].

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 10، ط 1، 1990م، ص ص352، 353.

يعني النسق هنا العطف بأدوات القول، وما كان على نظام واحد في الترتيب النحوي للكلمات في الجملة. وكما جاءفي تاج العروس: "كل شيءٍ اتّسع بعضه ببعضٍ فهو نسق له، و يسمون حروف العطف حروف النسق لأنّ شيء إذا عطفت عليه شيء آحر جرى مجرى واحداً".[1]

ويتفق هذا التعريف مع ما ورد في" المعجم الوسيط"فنجد أن" نسق الشيءتنسيقا:نظمه، يقال :نسق الدر ونسق كتبه، والكلام :عطف بعضه على بعض ....والنسق :ما كان على نظام واحد من كل شيء[2] ، كما ورد تعريف كلمة "النسق" في معجم (العين) على النحو الآتي:

«النسق كل شيء كان على نظام واحد في الأشياء، ونسقته نسقاً ونسقته تنسيقاً، وتقول اتسقت هذه الأشياء بعضها على بعض، وأصله قولهم ثغر نسق إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية»[3].

يتبين مما سبق أن النسق هو نظام واحد تتميز به كل الأشياء وكل الكائنات الحية الموجودة في الكون.

وجاء في (القاموس المحيط): «أنّ التنسيق في الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق حركة ما جاء من الكلام على نظام واحد... والتنسيق هو التنظيم»[4]. فالنسق يعني هنا التنظيم والترابط البنيوي.

من خلال هذه التعاريف يمكن تحديد الدلالات اللغوية للنسق وفق الآتي:

– النسق هو ما كان على نظام واحد وجرى مجرى واحد.

---

[2] تاج العروس من جواهر القاموس (مادة ن س ق) محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الحكومة ، الكويت دط، دت،،ص 165

[2] مجمع اللغة العربية: الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص ص 918 919.

3 الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ، ج 04، ص 218

4 الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، باب القاف، فصل النون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م، ص 833

– يعني النسق عطف الكلام بعضه على بعض، ولذلك تسمّى حروف العطف حروف النسق، تفيد تتابع الشئ.

-يرتبط معنى النسق بمجموع سياقات ومعاني الجملة في اللغة العربية، كما تعني نظام الأشياء وعطفها على بعضها وتتابعها، وبالتالي فإن مصطلح نسق يمكن تحديد معناه في اللغة بأنظمة الأشياء وتتاليها في نسق واحد.

2.1/مفهوم النسق اصطلاحا:

ارتبط النقد الثقافي بفلسفة ومرجعيات غربية محضة، كما اتكأ على مفاهيم لغوية وتأصيلية في تراثنا العربي القديم، وهذا ما تثبته المعاجم العربي التي تشترك في مفاهيمها حول النسق مع التنظير الغربي لأبرز مفاهيم النقد الثقافي فقد كانت بدايات ظهور هذا المصطلح النسق مع اللساني الشهير » فرديناند دوسوسير« في مجال الدراسات اللسانية، حيث استعمل » النسق « في مفهومه للغة قائلا » :اللغة عبارة عن نسق من العلامات يعبر عن الأفكار، ولهذا فهي مشابهة لنسق والكتابة وأبجدية الصم والشعائر الرمزية وصيغ المجاملة والإشارات العسكرية... ولكنها أعظم أهمية من هذه الأنساق"[1]، وهنا ربط دوسوسير بين اللغة والنسق، باعتبار النسق منظم للعلامات والرموز اللغوية باعتبارها تترجم الأفكار وبالتالي فاللغة أشمل وأعم من النسق.

كما ارتبط النسق بتحديد وإبراز العلاقات بين الأفكار، لتشكيل سياقات معرفية محددة، وعرفها ميشال فوكو للنسق بأنه : " عبارة عن علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي ترتبط بها، إنما هو مجموع علاقات تتشكل في منأى عن القوانين التي تنتمي إليها، إلّا إنها تستمر وتنتقل حسب السياقات

[1] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2002، ص 43

والظروف دون أن تبرح ذاكرة المتلقي" [1]، و ينطبق هذا على ما جاء به الغذامي إذ أن خضوع النسق لحالة التخفي في عقلية المتلقي، يمنحه القدرة على الاستمرارية والمرونة في التنقل من زمن لآخر ومن جماعة إلى أخرى، وهذه الخاصية ترتبط بالثقافة كمحمول إيديولوجي ورؤيوي.

لذلك فالنسق هو مجموعة من العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية الاعتيادية بين الأفراد بصفتها المتكاملة والمترابطة والمنسقة وبهذا فهو نظام علمي متكامل ومترابط من الأبنية النظرية التي يؤسسها الفكر حول موضوع ما. فكل عناصره منتظمة ولا قيمة لعنصر بذاته إلّا في علاقته بالعناصر التي تحيط به، كما تتحكم في إنتاجه مجموعة من القوانين والقواعد الداخلية أو الخارجية المتمثلة في الفرد والمحيط الاجتماعي والبيئي.

ولهذا يعتبر مصطلح النسق من المصطلحات الحديثة النشأة، خاصة في الساحة النقدية، كما ارتبط بأحدث المقاربات و المناهج اللسانية التي تبحث في بنية النص وتجاوز البناء الداخلي، فلا يمكن أن ننظر في النص معزولا عن محيطه الخارجي الذي كون مختلف السياقات.

فالنسق يتكون من أجزاء متصلة فيما بينها لغايات موجودة في مواضيع مختلفة تهدف إلى تحليل وإيجاد أبعادها الثقافية.

ويحدده الدكتور (علي سليمي) بقوله: "إن النسق مفهوماً يعم كل الكون بل أن الكون بكامله ليس للنسقاً كبيراً يحوي داخله أنساق جزيئية تتداخل فيما بينهما"[2]

1 سيرة النقد عند الغرب، لسعد كادم وحمزة الله كردي مجلة التعمقة بلل للعلوم الإنسانية العراق ط1 ص 163.

2 مجمعة برجوج النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي، مرباح ورقلة، ع 11، ديسمبر 2016، ص ص 56 ، 57

فالنسق مفهوم واسع شاسع وهو بمثابة السلسلة المتصلة في ما بينهما ويمكن ملاحظته والكشف من خلال العناصر المكونة للبنية.

وهنا لا يبتعد النسق في معناه الفلسفي عن نسق اللغوي كثيراً إذ أنّه في المعجم الفلسفي يقصد بالنسق في الطبيعة والكيمياء جملة من العناصر يعتمد بعضها على بعض بحيث تكون كلاً منظّماً وفي الفلسفة والعلوم النظرية، ويعد النسق جملة أفكار متآزرة ومرتبطة يدعم بعضها بعضاً مؤلفة من نظام عضوي متين مثل قولنا: نسق أرسطو، نسق نيوتن، وما إلى ذلك.

ويقصد بالنسق التجميع أو دوران مجموعة من الأفكار والأطروحات والمحاور حول مبدأ مركزي ما، أو هو عبارة عن مجموعة من الأجزاء والمقاطع المنسجمة والمتناسقة فيما بينها والتي تدور حولها فكرة فلسفية محورية عامة. بمعنى أن النسق هو نظام من العناصر المتماسكة فكرياً وفنياً ونظرياً وقد يكون الترابط بينها بالإتصال أو بالاتصال. يتسم النسق الفلسفي بالاتساق والترابط والانسجام أو هي مجموعة الأفكار المنظمة في محاور وقضايا سواء أكانت منسجمة أم متعارضة.

يميل النسق كذلك إلى التفاعل والترابط، التماسك، والتنظيم البنيوي الوظيفي والتداخل بين مجموعة من العناصر أي: يتضمن النسق مجموعة من البنيات اللازمة والذهنية التي تتداخل مع العناصر والبنيات في صورة عضوية نسقية و كلية.

ولعل من أبرز سمات الكتابة النسقية: استخدام العقل والمنطق، والاستعانة بالبرهان والاستنتاج والاحتكام إلى الحجج والأدلة، وتفنيد الرؤى المخالفة وعرض الأفكار المتباينة أو المتوافقة، والميل نحو البناء الهادئ والتمسك بالاستدلال المنطقي المتدرج بكل أنواعه وتتمثل الكتابة النسقية في تحري المنطق بتقديم رؤى حجاجية وجدلية وحوارية بامتياز.

يتضح من خلال هذا أن " النسق يتضمن المفردات الصحيحة والسليمة في اللغة ويطرح المفردات الدخيلة والركيكة الموجودة بها.ومن الناحية العلمية: فالنسق هو نظام علمي، متكامل ومترابط من الأبنية النظرية التي يؤسسها الفكر حول موضوع ما"[1].

إذن فالنسق بمفهومه العلمي الدقيق يكون مترابطاً ومتكاملاً،ويحقق نتائج واقعية حقيقية لأنها ناتجة عن إعمال الفكر ومستندة لقوانين تتحكم فيها.

2- مفهوم الثقافة:

1.2/ الثقافة لغة:

لقد تعدّد المفهوم اللغوي لكلمة الثقافة في المعاجم العربية حيث ورد تعريفها في معجم العين "ثقِفَ، قال أعرابي: إنّني لثقِفٌ، رامٍ ورامٍ شاعرٍ، وثَقُفتُ فلاناً في موضع كذا أي أخذته ثَقَّاوت في ثَقاحيّ من قيس ثَقِفَ ثَقَافَةً".[2]

وجاء في تهذيب اللغة (لأبي السكيت): "رجلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به.. ويقال ثَقُفَ الشيء وهو سرعة التعلم، و رجلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به... ويقال ثَقُفَ الشيء وهو سرعة التعلم "[3]

ولذلك فالمصدر الدلالي لكلمة الثقافة في المعاجم هو الحذق والفطنة وتسوية الاعوجاج وتقويمه.

---

1 جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، نظرية الأنساق الممتدة، الناشر مطبعة طوان، المغرب، ط1، 2016 ص 7.

2 الفراهيدي (الخليل بن أحمد) معجم العين: تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1 ص 110.

3 الأزهري (محمد بن أحمد) تهذيب اللغة تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج9، ط1، 2001، ص 81.

كما وردت كلمة الثقافة في أساس البلاغة (للزمخشري) بمعنى الثقافة:

ثقِفَ: ثقِفتُ الشّيء، وغصبت بها الثّقاف، وطلبناه في مكان كذا أي أدركناه وثقِفت العلم أو الصناعة في أوحى مدة إذا أسرعت أخذ بها، وغلامٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ وثَقَفَ لَقَفَ وقد ثَقُفَ ثَقَافَةً.[1]

المقصود بثقافة هنا الفطنة والخفة، وثبات المعرفة، والتزام الشيء وسرعة الحفظ والتعلم.

ولذلك فإن المفهوم اللغوي لكلمة ثقافة في المعاجم اللغوية يعني الحذق والفطنة وتسوية الاعوجاج وتقويمه.

ورجّح د. مالك بن نبي الثقافة باعتبارها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتطبعه لا شعورياً، العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة.[2]

فالثقافة في نظره ترتبط بسلوك الإنسان وأسلوب حياته وبصفاته الخلقية وقيمه الاجتماعية.

ومن هنا فالثقافة هي: "تلك الإضافات البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء أكانت إضافة خارجية كإعادة تشكيل الطبيعة، أو تعديل ما فيها ، وهذه الإضافات لا تكاد تتوقف، بل تتضمن قائمة العادات والتقاليد والمهارات والإبداعات الداخلية ومعنى أنها تتعلق بما هو غريزي، وفطري، وبيولوجي في الكائن البشري"[3]

---

1 المرجع السابق، ص19

2 تهديب اللغة ، ص 75.

3 محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 30 .

نلاحظ أن التعريف السابق يحصر الثقافة في الأمور المرتبطة بالغريزة والفطرة والتركيبة البيولوجية للإنسان وترتبط بالإنسان في مختلف مراحل حياته.

نستخلص من خلال ما تقدّم أن للثقافة مجموعة من الخصائص الجوهرية من بينها:

-الثقافة ظاهرة إنسانية فهي مرتبطة بالإنسان باعتباره الكائن العاقل.

-تستمد الثقافة من منابع مختلفة كالدين والسياسة والاقتصاد.

-للثقافة خصوصية معيّنة فلكل مجتمع ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة المجتمعات الأخرى، فثقافة المجتمع الأوروبي تختلف عن ثقافة المجتمع العربي.

-للثقافة أبعاد تتلاقى مع الحركة العالمية ولا يمكن حصر مفهومها مع جانب محدد.

-من خصائص الثقافة الاستمرارية، فهي إرث اجتماعي يتوارثه الأجيال من جيل إلى جيل.

2-2/الثقافة اصطلاحاً:

ظهرت لفظة" ثقافة "في القرن الثالث عشر الميلادي المأخوذ من اللاتينية والتي ارتبط معناها بالحقل والزراعة، ومع بداية القرن السادس عشر بدأ Cultra لفظة معناها يتطور ليأخذ معنى" تطوير الكفاءات والعمل على تنميتها"

وفي القرن السابع عشر لم يعرف هذا المعنى اعترافا أكاديميا ولم يدرج ضمن أغلب القواميس، أما في القرن الثامن عشر بدأت لفظة ثقافة تفرض نفسها مجازيا.إذ تم إدراجها في قاموس الأكاديمية الفرنسية فكان يقال ثقافة الفنون وثقافة الآداب وثقافة العلوم ...كما اقترنت" ثقافة "بمصطلح الحضارة حيث عبرت عن تطور الشعوب وتقدمها في مختلف المجالات، ثم عرفت اللفظة تطورا اصطلاحيا بفضل اللسانيين الألمان منذ القرن التاسع عشر، فانتقل المعنى من التعارض الاجتماعي إلى التعارض

القومي.ولعل من أشهر تعريفات الثقافة وأكثرها ذيوعا حتى الآن نظرا لقيمته التاريخية، تعريف عالم الأنثربولوجيا البريطاني **إدواردبورنت تايلور Edward Taylor** والذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه" الثقافة البدائية "سنة 1781 م،حيث يرى أن الثقافة: " هي ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون، العادات والتقاليد، والدين واللغة وجميع العناصر التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمعه"[1].

ويلخص هذا التعريف مفهوم الثقافة في بعدها الاصطلاحي حيث ارتبطت بكل ما يرتبط بهوية المجتمع من لغة ودين و تاريخ وفلسفة ...الخ.

ولذلك يمكن القول أن مصطلح الثقافة حضي بالكثير من الاهتمام من طرف العديد من النقاد والباحثين العرب والغرب وقد اختلفت تعريفهم لها من باحث إلى آخر، ويعرفها الناقد الأمريكي: أول باركر Aule parkre أن الثقافة واحدة من الكلمات الأكثر تعقيداً في اللغة الانجليزية وقد قدّم لها تعريفان:

التعريف الأول:" يرى أنه يمكن استخدام الثقافة للإشارة إلى عملية عامة للتطور الفكري والروحي والجمالي"[2]

أما التعريف الثاني: فيرى: "أن الثقافة نظاماً دلالياً، يقتضي حتماً بالنظام الاجتماعي المعني إلى حتمية التبادل الجماعي بين أفراده وحتمية إعادة إنتاجه، وسياسته واكتشافه"[3]

[1] يحي مرسي بدر، أصول علم الإنسان الأنثربولوجيا، دار الوفاء، مصر، 2007، ط1 ،ص28.

[2] جون ستوري، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية: تر: صالح خليل وآخرون، أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2014، ص 19.

3 يمني العيد، تقنيات السرد الروائي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2010، ص 320.

نستنتج من خلال ما سبق أن الثقافة هي تلك الطقوس والممارسات التي ترتبط وظيفتها الرئيسية بالدلالة على المعنى أو إنتاجه في أطر معرفية عقدية ترتبط بالهويات المختلفة للمجتمعات الإنسانية المختلفة، فهي عبارة عن قانون اجتماعي يرتبط بكل فرد داخل المجتمع يمكنه من التعايش والاستمرار داخل الجماعة.

ويعرفها العالم الأنثربولوجي (رالف لينتون) بأنها: "مصطلح ملائم للتعبير عن المجموعة المنظمة من العادات والأفكار والمواقف التي يشترك فيها الأعضاء أي مجتمع ولا يكاد يكون من المعتذر على أي عالم أنثربولوجي أن يبحث في هذه الأمور دون استعمال هذا المصطلح"[1]

فمن خلال تعريفه نلاحظ أن مفهوم الثقافة عنده هي: كل الأشياء المشتركة بين أفراد المجتمع من عادات وتقاليد وطقوس وأعراف ومعتقدات وأفكار ، باعتبارها أبرز مقومات الهوية ، في مختلف المجتمعات الإنسانية، كما تمثل موضوعا ومركزيا في الدراسات الأنثربولوجية، لما لها علاقة مباشرة بتطور فكر وثقافة المجتمعات، وما تحتويه من دلالات على طبيعة وأنماط وسلوكات المجتمعات.

كما يعرفها " مالك بن نبي "في كتابه" مشكلة الثقافة قائلا" :هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقةالتي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[2]

ولذلك ربطها مالك بن نبي الثقافة بسلوكيات الفرد والجانب الأخلاقي الذي يحدد طبيعة علاقاته الانسانية، التي تفرض عليه الالتزام بمقومات ثقافية وسلوكات ترضي الجماعة التي ينتمي إليها.فالثقافة

1 مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 58.

[2]مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تج :عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، لبنان، 5000 ، ص21

عنده هي تلك القيم و الأخلاق التي نكتسبها من الأسرة ومن المحيط الذي نعيش فيه فهي سلوك يربطنا بالمجتمع الذي نعيش فيه فالثقافة ليست شيئا نتعلمه بل نكتسبه.

كما تطرق **حسين الصديق** إلى مفهوم **الثقافة** "هي مجموع المعطيات التي تميل إلى ظهور بشكل منظم فيما بينهما مشكلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينهما في الزمان و المكان، فالثقافة ماهي إلا التمثيل الفكري للمجتمع الذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلقه إبداعاته"[1].

من خلال هذا المفهوم تعني أن الثقافة تتفاعل بواسطة جملة من الأنساق المعرفية و الاجتماعية فهي تسهم في تنظيم حياة الأفراد داخل الجماعة و يجب أن تشترك هذه الجماعة في الزمان والمكان الواحد، فبواسطة الثقافة يستطيع الفرد أن يطور في عمله و يخلق إبداعاته و يساهم دائما في إنتاج الأفضل.

و سنورد تعريف **للثقافة لمحمد عبد المطلب** هي " الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء أكانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة أم تعديل ما فيها إلى آخر هذه الإضافات التي لا تكاد تتوقف بل أدت هذه الإضافة الخارجية تضمن قائمة العادات و التقاليد و المهارات والإبداعات الداخلية بمعني أنها تتعلق بما هو غريزي وفطري و بيولوجي في الكائن البشري"[2]

[1] حسين الصديق ،الإنسان و السلطة ،إتحاد كتاب العرب، دمشق ، 2001 ص ص 17-18

[2] محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ط 1 ،2003 ، ص90

ولذلك تتمثل الثقافة الإضافة التي يدخلها الإنسان على الطبيعة البشرية المحيطة به ،كما أن هذه الإضافة تبقى مستمرة ومتجددة لتشمل المظاهر الخارجية كالعادات والتقاليد والمظاهر الداخلية للإنسان كالغريزة الموجودة بداخله.

ومن خلال استعراضنا لبعض أراء المفكرين العرب والغربيين حول مفهوم الثقافة يمكننا استنتاج بعض النتائج كالآتي:

- أن الثقافة تعد جملة من المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق إضافة إلى العادات والتقاليد والقدرات المختلفة التي تتميز بها مجموعة معينة من الناس.
- تمثل الثقافة داخل المجتمع قوة راسخة إذ تؤدي دورا أساسيا في تنظيم حياة الأفراد وتوجيه سلوكهم.
- لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات مما يؤدي إلى تنوع ثقافي واضح بين الشعوب.
- قد يضم المجتمع الواحد أكثر من ثقافة قد تكون هذه الثقافة منسجمة ومتكاملة. وقد تكون مختلفة في بعض جوانبها.

أما" ابن خلدون فيرى أن الثقافة ترتبط بـ:" العمران الذي هو من صنع الإنسان بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسدّ به النقص بين طبيعته الأولى وخاصة في بيئته حتى يعيش معيشة عامرة وزاخرة بالأدوات والصّناع"[1]

[1]ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة، الثقافة وعناصرها، دار الأعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015،ص 19.

ولذلك ارتبطت الثقافة عند ابن خلدون بالبناء والتشييد والقدرة على الاكتشاف والتغيير والمضي قدما بالمجتمع الذي يعيشه، وبذلك تكتسب مفهوم الثقافة عند ابن خلدون محمولا ماديا محض، حيث تقاس الثقافة بمقدار ما يقدمه الفرد من إبداع مادي يجعله أكثر تقدما ويخرجه من دائرته البدائية التي انطلق منها.

3- مفهوم النسق الثقافي:

بعد دراسة المفاهيم المركبة للمصطلح الإشكالي والمركزي وهو مصطلح النسق الثقافي، بصورة تفكيكية، لابد من تدارس مفهوم النسق الثقافي باعتباره عمود الدراسات الثقافية والنقد الثقافي على وجه التحديد، ولقد تعددت آراء النقاد واختلفت في تعريفهم للنسق الثقافي، وذلك بتعدد الرؤى والمواقف سواء كان ذلك في النقد الغربي أم النقد العربي ، وكما عرفه الناقد " **فينيست ليتش** "بأنه عبارة عن" نظم بعضها كامن وبعضها ظاهر، في أي ثقافة من الثقافات وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية من التذكير والتأنيث والعرق والدين والأعراف الاجتماعية والقيود السياسية والتقاليد الأدبية، و الطبقية وعلاقة السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات[1] "، حيث ارتبطت الأنساق الثقافية بكل ما يختص بالنظام اللغوي كمحمول ثقافي هوياتي، وبمختلف النظم الاجتماعية التي تحدد خصوصية كل ثقافة ، والتي تنظم وتسير المجتمع في كل مناحي الحياة.

ويعد الناقد العربي رائد النقد الثقافي عبد الله الغدامي،من أبرز النقاد العرب الذين ارتبط النقد الثقافي بأسمائهم ، حيث يرى أن النسق الثقافي يرتبط بكل ما هو ـ: " تاريخي أزلي وراسخ، أي أنه ليس طارئا، هو مغروس فينا إذ هناك نوع من الجبروت الرمزي ذي طبيعة جمعية وليست فردية، وهذا النسق يتوسّل بالجمالي ويتخفى وراءه فتمرر الأنساق الثقافية عبر الأجيال من دون نقد،ووظيفة النقد الثقافي فضح ذلك النسق وهتك أسراره"[2]

[1] ينظر ضياء الكعبي، السرد العربي القديم(الأنساق الثقافية واشكالية التأويل) ، دار الفارسي للنشر والتوزيع، ط1 ، عمان ، 5002 ، ص55

2 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص 47.

ولذلك ترتبط الأنساق الثقافية بكل ما هو متوارث ومتجذر وراسخ في البنية الفكرية والأنثربولوجية للمجتمع، وتتجلى هذه الأنساق في العمل الأدبي من خلال ما تطرحه من أفكار ورؤى مضمونيية، ومن خلال ما تكتسبه من جمالية لغوية و وقوة بلاغية ترتبط بمضمونها المباشر، وما ترمي إليه من أبعاد دلالية وتأويلية.

كما يعد النسق الثقافي من أبرز المصطلحات التي تحقق رؤية تتجاوز الأحادية إلى التعدد، ذلك أنه: " يخضع للمنطق الاجتماعي بصفته بنية اجتماعية ذات طقوس وشعائر جمعية... وكذلك نظام من الممارسات الجماعية والثقافية "[1]

لذلك فالنسق الثقافي محمول لغوي ورؤية فكرية وفلسفية تتناقل بين الأجيال عن طريق المحاكاة والممارسة،

ولكي يبقى النسق الثقافي خاضع للمنطق الاجتماعي يجب أن يخضع إلى أربعة متطلبات :[2]

أ- التكيف: لا بد أن يتكيف كل نسق مع بيئته.

ب- تحقيق الهدف: لا بد لكل نسق أن يسعى لتحقيق هدف معين، وبلوغ مسعى محد.

ج- التكامل:كل نسق يجب أن يحافظ على الانسجام بين مكوناته، وهذا ما يجعله محافظاً على وحدته وتماسكه.

د- المحافظة على النمط: يجب لكل نسق أن يحافظ بقدر الإمكان على حالة التوازن فيه.

---

1 عبد الفتاح، أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان، ط1، 2010م، ص ص 247، 448.

2 المرجع نفسه، ص 447.

فالنسق الثقافي إذا حافظ على هذه الأبعاد الأربعة حقق بقاءه واستمراريته بين الثقافات.

كما أن للأنساق الثقافية ثلاثة أبعاد حسب (تالكوت بارسونز) "منها أنساق الأفكار والمعتقدات وأنساق الرموز التعبيرية وأنساق التوجيه القومي"[1]

تساعد الثقافية على ربط المعتقدات والأفكار بالتصورات الذهنية الداخلية والتصور العقائدي وكل ما يتعلق بالكون والطبيعة، والمعتقدات المعرفية المتمثلة في النظريات العلمية والفلسفية وغيرها، ضمن رؤية شاملة وتضمن ترسيخها في ذهنية الفرد و المجتمع بشكل عفوي وفهمها لتكتسب فيما بعد أبعادا وقيما ومفاهيم تسهم في تنظيم حياة المجتمعات.

تختلف تعريفات الثقافة والنسق حيث يمكن أن نخلص إلى مفهوم النسق الثقافي بأنه ذلك الترابط والتلاحم بين عدة عناصر لتشكيل وحدة متميزة تضم مختلف المعارف، والمعتقدات والتقاليد والقيم التي يكتسبها الشخص من مجتمعه باعتبارها أنساقا: " تاريخية أزلية وراسخة، ولها الغلبة دائماً وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي والمنطوي على هذا النوع من الأنساق... كلّ هذه وسائل وحيل بلاغية جمالية لغوية كالمجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي"[2]

ولذلك فالأنساق مجرد قوانين وضوابط تسير وتضبط سلوكات المجتمع، كما تعد تصورات لما ينبغي أن تكون عليه حياة البشر، فهي قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة .

---

[1] محمد المعبود مرسى، علم الاجتماع، نقلاً عن تالكوت بارستونز، بين نضرية العقل والنسق الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية، ط1. 2001م، ص 92.

[2] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص44

ويعرفه جابر عصفور: "مجموعة مترابطة من الأبنية المقولات التي تحكم الوعي الجماعي للمجموعات القارئة والوعي الجماعي للمجموعات المنتجة له، والتي تتحكم في مستويات الفهم القرائية أو الإنتاجية وتوجيهها"[1]. أي أن النسق الثقافي هو الذي يوجه التفكير، كما يتحكم في الوعي الجماعي المطلق ، وربطه بالنتاج المعرفي، وكيفية تلقيه، كنموذج قرائي يفسر ويحلل، الأنساق في مختلف تجلياتها واستعمالاتها.

فالنسق الثقافي هو مجموعة من الأدوات والمعارف القابلة للتطور والتي تصنع ملامح الاختلاف بين المجموعات البشرية وقد عرفها جابر عصفور بأنها:" مجموعة مترابطة من الأبنية والمقولات التي تحكم الوعي الجماعي للمجموعات القارئة المستقلة بنفسها وتشكل الوعي الجماعي للمجموعات المنتجة له، والتي تتحكم في قنوات الفهم القرائية أو الإنتاجية وتوجيهها".(1)

كما جاء مفهوم النسق في المعجم الفلسفي معبرا عن : "كل ما فيه استنارة للذهن وتطوير الذوق وتنمية ملكة النقد والحكم عند الأفراد أو في المجتمع وتشتمل على المعارف والمعتقدات والفنون الأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه"[2]

وهنا يمكن ربط دلالات النسق بقدرة الناقد الأنثربولوجي على تحليل وتفسير كل مايتعلق بالهوية في علاقتها بتكوين وتطوير المجتمعات الإنسانية، انطلاقا من دراسة العادات والمعتقدات والمعارف وربطها بكل ما هو مستجد من تحولات في بنية المجتمع المعرفية والإيديولوجية، وكذا دراسة الاختلافات الجوهرية التي يمكن أن تسهم في تشكل أنساق جديدة متأثرة بثقافة الآخر.

[1] أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2010،ص ص 150 151

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي،ص 80

4- النسق الثقافي و النص الأدبي:

يرتبط النص الأدبي في تصوره العام هو خلق ذهني لغوي تحكمه مجموعة من القوانين، يبنى النص من وحدات صغرى إلى وحدات كبرى من أصوات وجمل وتراكيب ودلالات، يعتبر النسق (اللغة) هو القانون الذي يربط بين كل الوحدات الدالة والأجزاء المختلفة فالنص من خلال تناسق عناصره يعمل على تحديد بنية العمل التي الكثير من العوامل الداخلية الخاصة بالتشكيل النص الأدبي، فالنسق يقوم بتحديد البنية الأدبية نتيجة لمبادئ ذات طابع شكلي موضوعي يتحكم في عملية الخلق الأدبي حيث يقول صلاح فضل "ويترتب عليها النظام الحاكم الذي تتوحد هذه الوحدات المكونة للهام"(2)، يعني الوحدات الصوتية والتركيبية والدلالية التي تقوم عليها اللغة كما أشار أيضاً زكرياء إبراهيم إلى مبدأ المعاينة بقوله "وأن مكونات هذه النسق مترابطة فيما بينها ككل متماسك فمثلاً على أنه (ثانياً) يعطي الأولوية للغويات الداخلية على اللغويات الخارجية، على اعتبار أن النص هو انسجام الباطني للغة"(3)، فالنسق من هذه الزاوية يمثل مبدأ المعاينة، بالنظر إلى النص باعتباره أنساق داخلية يتوجب البحث فيه أبنية الداخلية، بعيد عن البحث في ظروف تأسيسية والسياقات الخارجية عن اللغة ذاتها.

الآمر المهم كيف يكون للنسق ذاته دورا مهما في النقد الأدبي فيشير إلى ذلك محمد عبد الكريم العمري في العلاقة بين السياق والاتساق والعلاقة بينهما، علاقة الكلمات بأجزائها حيف الكليات بسياقها الآخر أو الأنساق (هناك انسجام ودلالة) وتطوير الفكرة لسناريوهات ليصل إلى دلالات متنوعة تتشابك في منظومة متكاملة إلى أن تبلغ الدلالة الكلية، فكلما اتسع تفرعات النسق الداخلية، تتجاوز داخله، وتتجاوز معدلة نقاشاً عميقاً وربما انتهت إلى دلالات متخالفة.... انسجامية (1).

1 محمد عبد الكريم العمري، السياق والأنساق، ط1، دار التضامن، بيروت، لبنان، 1434 هـ - 2013م، ص 37.

يعني مهما اختلفت الدلالات في البنية فإنها تشكل العمل الأدبي.

5-أنواع الأنساق الثقافية:

ينقسم النسق الثقافي بحسب النقد الثقافي إلى قسمين متظاهرين، وهما النسق الظاهر المعلن والنسق المضمر الخفي، وهذا ما جاء في كتاب النقد الثقافي لـ (عبد الله الغذامي):

1.5-النسق الظاهر (المعلن):

هو نسق مباشر وظاهر تجلي في العمل الإبداعي حيث يمكن للقارئ البسيط معرفة وتحديد دلالته اعتمادا على قراءة واعية وبسيطة، ويتحدد النسق بشروط نقدية وسمات المحددة، والوظيفة النسقية لا تتحدد إلا في وجود موضوع محدد أو نسق محدد، حيث يمكن يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب فيكون أحدهما ظاهر والآخر مضمر ويكون المضمر نقيضاً للظاهر.

"كل خطاب يحمل نسقين، أحدهما واع، والآخر مضمر، وهذا يشمل كل أنواع الخطابات الأدبية منها وغير الأدبية، غير أنه في الأدبي أخطر لأنه يتقنع بالجمالي والبلاغي لتمرير نفسه وتمكين فعله في التكوين الثقافي للذات الثقافية للأمة"[1]

ولذلك فالنسقان يرتبطان ببعضهما ، ولكن فلكل له دلالته بداية من المعنى السطحي المباشر إلى العمق الدلالي ، فكلاهما متلازمان ومتكاملان،ذلك أن النسق الظاهر قوامه الأساسي الوعي بالبعد الثقافي والقيمة الجمالية للنص، فهو ملازم رفيق النسق المضمر ونقيضه، ويتجلى النسق الظاهر في سطح النص ويظهر على مستوى البنية الظاهرية للنص.

---

[1]عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: حوارات لقرن جديد(نقد ثقافي أن نقد أدبي)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003، ص ص 23.22

2.5-النسق المضمر (الخفي):

النسق المضمر عبارة عن خطاب غير ظاهر، يلتف بقناع الجمالي والأدبي لتمرير مدلولاته، ونستنبطه عبر قراءتنا العميقة للنصوص، والأنساق الثقافية في النصوص الأدبية وهي أنساق تاريخية راسخة تلقت قبولاً عند جمهور المستهلكين، فكلما رأى هؤلاء إنتاجاً أدبياً متولداً على أحد الأنساق الثقافية المضمرة، حظي عند الجمهور بالقبول... وإذا كانت الأنساق الظاهرة والعلنية تنتهي، فإننا نؤكد على أن الأنساق المضمرة والخفية تكمن في باطن النصوص والظواهر.

وقد حددت شروط أربعة للنسق المضمر من خلال كتاب: "نقد ثقافي أم نقد أدبي" وهو تأليف مشترك بين عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف وهي كالتالي:[1]

1-وجود نسقين معا وفي آن واحد وفي نص واحد، أو فيما هو في حكم النص الواحد.

2-يكون النسق المضمر في النصوص نقيضاً وناسخا للمعلن، فإن لم يكن النسق مضمراً تحت العلني فإنا لا نكون في المجال النقد الثقافي.

3- لا بد أن يكون موضوع الفحص نصا جماليا لأننا ندعي أن الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها، وترسيخها.

4-لا بد أن يكون النص ذو قبول جماهيري، ويحضى بمقروئية عريضة، وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي، والنخبوية هنا غير ذات مدلول، لأن النخبوي معزول وغير مؤثر تأثيرا جمعيا، ولا يكون النخبوي مستمرا بل هو ظرفي. ونحن هنا لن نكون ناقدين للخطاب

[1]عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف: مرجع سابق ،ص ص 32 33.

فحسب بل نقف على آليات الاستقبال والاستهلاك الجماهيري، ونكشف حركة النسق وتغلغله في خلايا الفعل الثقافي .

ولذلك يعد النسق المضمر ركيزة النقد الثقافي.

6–خصائص ومميزات الأنساق الثقافية:

يتسم النسق الثقافي بمجموعة من السمات والخصائص التي تميزه وتجعله يمتلك من الأدوات الإجرائية والمعايير النقدية التي تؤسس لماهية النقد الثقافي:

–يمكن أن يتحدد النسق عبر وظيفته .وليس من خلال مجرد وجوده.

–يعد النسق نظاما بنيويا إباعتباره بنية متكاملة وشاملة داخل الخطاب الثقافي وهذا النظام له وجهان أحدهما ظاهر والآخر مضمر.

–تظهر الوظيفة النسقية في النص الجمالي خاصة مثل :الشعر، والقصة كما تظهر أيضا في النصوص غير جمالية.

–الدلالة النسقية المضمرة والمخبوءة موجودة دائمة ومستمرة ولها سمة القوة .

تتميز الوظيفة النسقية بصفة القوة الرمزية وتقوم بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي– .

تعتبر الأنساق الثقافية المضمرة أساس النقد الثقافي، مهما كانت قراءات المثقف في– تحليل الأنساق الثقافية انطلاقا من مرجعيات فكرية إلا أنهم لا يملكون القدرة على إلغاء هذه الأنساق لأنها متجذرة في الذهنية والفكر منذ القديم. فلا يمكننا دراسة أي خطاب دون المرور إلى النسق المضمر، فهو بمثابة عباءة تلبسها الأنساق، كل حسب نوعه من أجل العمل داخل النص على مستوى البنية السطحية

والعميقة، فالأنساق الثقافية هي جوهر النقد الثقافي، والمضمر لها حمولات معرفية وثقافية لا بد لنا استخراجها من خلال النقد من البنية السطحية أو البنية العميقة للنص.

7- مفهوم النقد الثقافي اصطلاحاً:

ظهر النقد الثقافي عند الغرب قبل الثمانينات (القرن الماضي) على يد الأمريكي "فنسنت ليتش" من خلال كتابه "النقد الأدبي الأمريكي "1988"، والذي يرى من خلاله أن مصطلح النقد الثقافي على أنه مرادف لمصطلح ما بعد الحداثة والبنيوية، وإذاً هو تغير جذري في المنهج التحليلي لمفهوم ما بعد الحداثة والبنيوية؛ إذ النصوص تعتمد اعتماداً كلياً على عدة معطيات نظرية وأخرى تخصصية تتعلق بعلم الاجتماع والتاريخ والسياسة، شريطة أن يتخلى هنا عن منهج التحليل الأدبي النقدي.

ارتبطت النظرية الأدبية في مستواها الإجرائي بالنقد الأدبي، إلا أنه وبتطور الرؤية الإبداعية وتجاوز النصوص الأدبية صفة الأدبية إلى الدخول في حوارات نصية تؤثث لتشكل ملامح نصوص تعتمد على وصف الفعل الثقافي ومدى قدرته وتحكمه في الإبداع ، لتتجاوز النقد الأدبي إلى النقد الثقافي وتحولت الرؤية النقدية من مساءلة الجمالي والبلاغي إلى تقصي الثقافي ، وهنا تحولت الأدبية إلى مؤسسة ثقافية، وفي خضم هذا التحول بدأ تشكل نقد جديد عرف بالنقد الثقافي الذي كان محاولة إجابة وبحث وتقصي انطلاقا من الأسئلة المطروحة التالية:[1]

1-سؤال النسق بديلا عن سؤال النص.

2-سؤال المضمر بديلا عن سؤال الدال.

3-سؤال الاستهلاك الجماهيري بديلا عن سؤال النخبة المبدعة.

---

[1]/ المرجع السابق، ص36

كما يعد النقد الثقافي مصطلح حديث ظهر بفعل المتغيرات والعوامل التي أفرزتها ما بعد الحداثة، فهو ينفتح على جميع المعارف كما أنه يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضاً التفكير الفلسفي، وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي. وبمقدوره أيضاً أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات (السيميائيات)، ونظرية التحليل النفسي، والنظرية الماركسية، والنظرية الاجتماعية، والأنثروبولوجية"[1]

يظهر للنقد الثقافي معاني متعددة ومختلفة تنتجها الثقافة، وله القدرة على تفسير مجموعة من الممارسات، فهو يتطلع إلى النص بوصفه حدثاً ثقافياً بصرف النظر عن مستواه الجمالي الرفيع أو الوضيع.

" فالناقد الأمريكي "فنسنت ليتش" يعتمد على التأويل والتفكيك للحصول على الأنساق الثقافية دون التخلي عن مناهج التحليل الأدبي النقدي

8-مراحل تطور الرواية الجزائرية المعاصرة من السياق إلى النسق النصي:

تعد الرواية من الفنون التي استحوذت على اهتمام كثير من النقاد والدارسين منذ تأسست وتشكّلت ملامحها الأولى، فقد كثرت التعريفات التي تحاول وضع اسم ملامح محددة لها. وعلاوة على الأشكال تباينت تعاريفها مع بعضها، انطلاقاً من اختلاف وجهات النظر والمدارس، والمنطلقات الفكرية؛ إذ يعرّفها محمد عبد السلام الشاذلي بأنها: "منهج فني لبناء مشاعر مؤثرة من خلال تسلسل ما، سواء تحقق بأسلوب المقامة أو بأسلوب الفصول التصويرية أو بأسلوب المذكرات والرسائل... إلخ. ولطالما كانت هذه الوسائل الفنية ملتحمة في عمقها وصدقها بمشاعر الشخصية الروائية التي يقدمها لنا الكاتب

1 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 76.

الروائي" ([1])، ذلك أن النص الأدبي في تصوره العام هو خلق ذهني لنظام لغوي تحكمه مجموعة من القوانين التي يبنى عليها ، انطلاقا من وحدات صغري إلى وحدات كبرى فينطلق من الأوضاع الاجتماعية التي يترصدها الباحثون والنقاد العرب في بيئتهم محاولين لفت الانتباه واتخاذ مجمموعة من التدابير و الحلول بلغة سردية ذات دلالات وأبعاد فنية جمالية .

إذ تُعتبر الرواية من فنوُن الأدب النثري الأكثر حداثة شكلاً ومضموناً، ولها تأثير كبير في المجتمع، حيث تتحدث عن مواقف وتجارب بشرية عبر الزمان والمكان لغايات دلالية معينة تستقيها منها في المواضيع: العاطفية، التاريخية، الاجتماعية والنفسية إلى غير ذلك. وسنحاول أن نرصد حركتها عبر التاريخ بالحديث عن النشأة والتطور.

نشأت الرواية العربية متأخرة في أقطار المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، وهذا يرجع لعدة أسباب كما حددها عبد الله الركيبي[2] أبرزها:سيطرة الثقافة الفرنسية على مختلف مناحي الحياة، إضافة إلى الوضع السياسي والاجتماعي المضطرب والظروف السائد، خاصة في الحقبة الاستعمارية حيث كان هذا الأخير يحاول طمس الهوية ومقوماتها [3]، أي أن الوضع السياسي الذي كانت تعيشه الجزائر يهدف إلى طمس الهوية الجزائرية، ونشر الجهل والفقر والأمية، وهذا ما انعكس على الحركة الثقافية في الجزائر.

وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري "حكاية لعشاق في الحب والاشتياق" لـ : محمد بن ابراهيم (صاحبها سنة 1949م)، وغادة أم القرى لـ أحمد رضا حوحو سنة 1947م، حيث تم اعتبارها أول رواية

---

1 عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية (1882 – 1952)، دار الثقافة ، بيروت ط1، دت،ص36.

[2]عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري 1830 – 1974، الدار العربية للكتاب، طنجة، دط، 1973، ص198.

3 عبد المالك مرتاض،فنون النثر الادبي في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب، دط،1999 ص 13.

تأسيسية لهذا الجنس الأدبي في الجزائر. و الطالب المنكوب لعبد الحميد الشافعي 1951، ورواية الحريق لنور الدين بوجدرة1957، ورواية صوت الغرام لمحمد منيع 1967م، ورواية صوت الغرام لمحمد منيع، وقد تأخر ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية لأسباب كثيرة أبرزها وأهمها:"ضعف الطباعة، إضافة إلى عوامل ثقافية مثل التعليم التقليدي الذي لم يهيء الكتاب لإنتاج أدب روائي (...) فبينما وجد الكتاب باللغة الفرنسية مجالا رحبا للإحتكاك بالثقافة الغربية التي تزخر بالروايات القيمة، افتقر الكتاب بالعربية إلى مثل هذه التجربة"[1] ،إلا أن البداية الفنية للرواية الجزائرية كانت مع النص الروائي ريح الجنوب 1971 لعبد الحميد بن هدوقة، وهنا بدأ يتشكل النص الروائي الجزائري بناءً على تحولات سياقية كبرى غيّرت البنية الاجتماعية ويمكن رصد سمات الرواية في هذه المرحلة أنها ارتبطت بمواضيع استهلاكية كالشجاعة والمغامرة والمواجهة ، بأساليب فنية وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد ، باعتبار إن فن الكتابة لا يزدهر إلا في ظل محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة .

لقد شهد المجتمع الجزائري العديد من التحولات السياسية والثقافية و الاجتماعية. فاعتبرت الرواية في هذه الفترة انعكاسا لهذا الواقع وهذا ما يؤكده الاستاذ عبد المالك مرتاض " يقول أن الرواية العربية بعد الاستقلال كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي انبتته التحولات بكل تناقضاتها "[2].

كما تُعد مرحلة السبعينيات مرحلة ما بعد الاستقلال، محاولة بناء دولة وطنية والتوجه نحو الاشتراكية و الاصلاح الزراعي. حيث يتجلى في النص السائد صورة لأهم مشكلات و قضايا

[1] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص61

[2] عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص45.

المجتمع من نقد للإقطاع وتمجيد للثورة التحريرية. وتميز البناء الفني هنا بالخطابية والواقعية الكلاسيكية في الغالب، وهنا مثلت رواية "ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة إلى جانب رواية ما لا تدروه الرياح لعبد العالي عرعار البداية الحقيقية للرواية الجزائرية الناضجة . كما تعد رواية " اللاز " للطاهر وطار من أبرز النصوص التي طرحت موضوع الثورة بكل واقعية و موضوعية، فكانت اللاز بهذا المعنى هي الوجه الآخر لجزائر النضال من اجل دحر القوى الرجعية المرتبطة بالاستعمار ,و[1] بناء جزائر ثورية متحررة من تبعية رأسمالية ،والتي ناقشت التناقضات الإيديولوجية والفكرية داخل الثورة نفسها، وفي هذه المرحلة كانت الولادة الحقيقية والأكثر عمقاً للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية". تميزت هذه المرحلة بالنمو الفني، وتزامنت مع موجة التطور والازدهار لهذا الفن باللسان الأجنبي وجعلتهم يلتفتون إلى الكتابة الروائية العربية للتعبير عن الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته.، ولذلك "يعد عقد السبعينيات الولادة الحقيقية للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فرغم الواقع الجزائري السيء خلال الثورة وظروف المعيشة الصعبة، إلا أنها تخطت تلك السطحية لتظهر في حلة فنية جديدة وناضجة، ولهذا سخر الروائيون أقلامهم للكتابة في قضايا الوطن" كابن هدوقة " في رواية ريح الجنوب التي تعد انجاز فنيا أضيف إلى قائمة النتاج الجزائري بكل ما تحمله الكلمة من معنى"[2]، بالإضافة إلى رواية نهاية الأمس وبان الصبح لعبد الحميد بن هدوقة، كما ظهرت روايات أخرى على غرار نار ونور، دماء ودموع "لعبد الملك مرتاض" وطيور في الظهيرة لمرزاق بقطاش " وما لا تدروه الرياح لعبد العالي عرعار، رواية الشمس تشرق على الجميع والأجساد المحمومة

[1] الطاهر وطار , اللاز ,الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ,ط1 ,الجزائر ,1972.

[2] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986، ص94

لإسماعيل قموغات...الخ، وقد تعددت النصوص الروائية الخاصة بهذه المرحلة، نظرا إلى التطور الملحوظ الذي شهدته الرواية في مرحلة السبعينيات، ثم تلتها مرحلة الثمانينيات أين عرفت الرواية تقدما وتطورا على مستوى البناء الفني والموضوعي، فتعددت التجارب الروائية، بتعدد القضايا المجتمعية وتشعبها في هذه المرحلة الحاسمة من تطور الرواية، فتجاوزت بذلك الصراع الإيديولوجي القائم في الرواية السبعينية، لتعيد كتابة التاريخ بواقعية ووعي تام ،كما تضمنت تعرية للواقع الاجتماعي والاقتصادي وما يحملة من تغيرات وتحولات، ومن أبرز النصوص الروائية التي مثلت هذه المرحلة نذكر: رواية"ما تبقى من سيرة لخضر حمروش 1983" لواسيني الأعرج، وروايتي البزاة 1982، وعزوز الكابران1989 لمرزاق بقطاش، وزمن التمرد1985 للحبيب السائح، ورواية رائحة الكلب 1985،و حمائم الشفق 1988 لجيلالي خلاص، ورواية الجازية والدراويش 11985 لبن هدوقة ...الخ، وغيرها من الروايات الأخرى.

وبدأت الكتابات تتحرر من قيد الالتزام. وراح كُتّاب هذه المرحلة يغوصون في ممارسات التجريب على مستوى اللغة وتقنيات الكتابة. ومن التجارب الروائية نذكر: واسيني الأعرج في "وقائع ليلة الفاجعة" 1981م، ورواية "الغيث"، و"الموت في الزمن الحراشي" لـ الطاهر وطار 1980م.

وتعد مرحلة التسعينات مرحلة حساسة (فترة العشرية السوداء)، اتسمت بالعنف الشديد والحرب، فالرواية الجديدة –بالرغم من تعريضها لمظاهر التخلف الفكري والمعرفي– غدت تُقدّم بوصفها أفقاً للكتابة الجديدة، كما أنها ليست شيئاً جامداً ولا مطلقاً ولا نسقاً سائداً. تميزت الرواية الجديدة بثورتها.

ترتبط الرواية الجزائرية بسياقها التاريخي والاجتماعي ارتباطاً عضوياً، حيث كانت انعكاساً حيّاً لمراحل التحول الكبرى (الاستعمار، الثورة، الاستقلال، والأزمة). وقد تأسست لخطاب سردي يزاوج بين الهوية، الواقعية، والتجريب المتجاوز للحدود المحلية نحو العالمية.

"لقد كانت فترة التسعينيات حافلة بالروايات التي تحاول أن تأسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بالمرحلة التاريخية التي أنتجته ، وبالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة التاريخ (...) و تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجينا بين نار السلطة و جحيم الإرهاب ، و سواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا ،فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة و التخفي ، و يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم"[1]، وهنا تعددت ملامح التطور بالنسبة للرواية الجزائرية المعاصرة التي دخلت غمار التجريب الروائي، بداية من رواية المحنة أو العشرية السوداء وأبرز النصوص الروائية التي متلت هذه المرحلة: رواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف 1990، وسيدة المقام1991، وذاكرة الماء1997، وشرفات بحر الشمال 2001، وحارسة الضلال 2001 لـ: واسيني الأعرج، وفوضى الأشياء1990 لرشيد بوجدرة، والشمعة مالدهاليز 1995، و الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي 1999 للطاهر وطار، وفوضى الحواس 1996، وعابر سرير 2003 لأحلام مستغانمي، والمراسيم والجنائز 1998 لبشير مفتي، وفتاوى زمن الموت1999، وبوح الرجل القادم من الظلام 2002، والبحث عن آمال الغبريني 2004لإبراهيم سعدي، وعواصف جزيرة الطيور 1998، والحب في المناطق المحرمة 2000 لجيلالي خلاص، وذاك الحنين1997، وتلك المحبة 2002 وتماسخت دم النسيان 2002 للحبيب السائح، وبين فكي وطن

[1] حسن خمري، فضاء المتخيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص ص 191. 19

1999، وفي الجبة لا أحد 2001 لزهرة ديك، وتاء الخجل 2002 لفضيلة الفاروق، وغيرها من الروايات التي اتخذت من محنة الجزائر في العشرية السوداء مركزا لمتنها السردي ، وقد "تفاوتت في قيمتها الجمالية، حيث سقط عدد منهم في المباشرة السياسية لإخفاق أصحابها في تحويل السياسي إلى قيم فنية، في حين توصل القليل منها إلى أن يجعل من المحنة الجزائرية قيمة جمالية، تشكل إضافة نوعية لهذه الرواية العربية الجزائرية"[1]

وقد أسهم في إغناء المشهد الروائي الجزائري باللغة العربية في التسعينات ومطلع الألفية الثالثة، جيل جديد من الكتاب الشبان، فكانت نصوصهم ولا تزال فتحا جديدا في المشهد الروائي الجزائري المعاصر فأخدت هذه التجارب من التراث منطلقا سرديا ، ومما أفرزته الحياة المعاصرة من تطورات وتغيرات أسهمت في تطور البينية الفكرية والذهنية للمجتمع ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: عز الدين جلاوجي روايته الفراشات والغيلان 2000، وسرادق الحلم والفجيعة 2000، ورأس المحنة 2003 0...الخ، وبشير مفتي في المراسيم والجنائز 2000 ، وأرخبيل الذباب 2000، وشاهد العتمة 2002، وأشجار القيامة 2010، وكمال بركاني في امرأة بلا ملامح 2001...الخ وكثيرة هي التجارب الروائية التي كان لها الأثر الواضح والبارز على الساحة الإبداعيةو النقدية الجزائرية والعربية.

ولم يقتصر الإبداع على الرجل حيث كان للمرأة الجزائرية دورها في تطوير المشهد السردي الروائي الجزائري باللسان العربي، وقد تعددت وتنوعت الأصوات النسوية كأحلام مستغانمي في ثلاثيتها ذاكرة الجسد 1993، وفوضى الحواس1996، وعابر سرير 2003، وزهرة ديك في نصيها بين فكي وطن 1999، وفي الجبة لا أحد 2003 وتاء الخجل 2002 لفضيلة الفاروق ...الخ وغيرها من النصوص

[1] بن جمعة بوشوشة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للنشر، دط، 2003، ص33.

الروائية التي عبرت عن محنة الوطن و عن سلطة المرأة كصوت إبداعي مسموع، منتقذة سلطة الذكورة مستخدمة "الجسد كحطاب بديل لكسر طابوهات الجنس والمحظور، والسعي إلى حضور المرأة عبر كينونة جديدة"[1]

خلاصة:

وهنا أثبت الصوت النسوي حضوره في المشهد السردي، مقتحمة مجال السرد والإبداع موظفة أنساقا ثقافية ولغوية وفكرية ذات منحى إيديولوجي بصبغة أنثوية، وتعد رواية أودوميا موضوع دراستنا من أبر ز النصوص السردية المعاصرة التي استوعبت مختلف التطورات والتحولات التي شهدتها الحياة المعاصرة نظرا لما تحتويه من صراعات إيديولوجية وبنية نسقية تفتت الواقع بتناقضاته لتطرح البديل المناقض له، بنظرة استشرافية، لذلك كيف تجلت الأنساق الثقافية في رواية أودوميا وما هي أبرز ملامحها وخصائصها؟ وهذا ما سنعرض له في الفصل التطبيقي من دراستنا.

[1] مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2013، ص 25.

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية أودوميا.

تمهيد:

أبرزت الرواية الجزائرية المعاصرة قدرتها على استيعاب مختلف مستجدات العصر من مواضيع ومضامين ذات الصلة بالإنسان كعنصر فاعل في المجتمع، حيث عبرت عن وعي صارخ، ومقدرة أسلوبية، احتكمت إليها النصوص الروائية، وتعد رواية أودوميا من أبرز النصوص السردية التي احتوت على مضامين ورؤى ذات أبعاد فلسفية وإيديولوجية، انطلاقا من توظيفها لمضمرات نصية، تحملها البنية المعرفية التي ترتكز عليها الرواية كإبداع فني، ولذلك يمكن ربط النص الروائي بما يطرحه من بنى نسقية متعددة تراوحت بين الفلسفي والديني والأدبي والفني، والعلمي والمعرفي...الخ.

1- النسق التراثي:

يعد النسق الثقافي في رواية أودوميا موضوعا محوريا تتجاذب فيه مختلف الأفكار والرؤى التي تؤسس لبنية تراثية، يحضر فيها التراث بصوره المتعددة، والمتمثلة في التراث المادي واللامادي، وقد برزت

ملامحه انطلاقا من حضور فضاءات ذات محمول تراثي، إضافة إلى بروز توظيف أجناس نثرية متعددة، أعطت الرواية بعدا تراثيا، ومحمولا ثقافيا بارزا، وبذلك تضمنت الرواية :

– **فضاء المقهى**: يبرز كفضاء جماعي للتنفيس عن الضغوطات التي يعيشا الإنسان في يومه، كما يعد فضاء تثقيفيا " خرجت من البيت متوجها إلى مقهى الأقصى لأتصفح الجريدة التي اقتنيتها من الكشك المجاور، أنا أتتبع عن كثب إحصائيات الجرائم اليومية في مدينتي"[1] ، ولذلك يرتبط المقهى بالبعد التراثي الضارب في أعملق التاريخ الإنساني كما يرتبط بالإنسان في تركيبته البيولوجية التي تميل إلى الاستئناس بالآخر وجعله مكملا له، فكانت المقهى فضاء يجمع بين الأصدقاء والجيران وحتى الأحبة.

–**الطقوس السحرية**: ربطت الرواية تصرفات بعض الشخصيات بالسحر كمحمول أنثربولوجي "في ظل كل هذه التطورات ، تصير الرؤية معتمة عليك وشبه مستحيلة كمن قرأت عليه الطلاسم السحرية "[2]، وباعتبار السحر يرتبط بإفساد العلاقات بين الناس ، وقد يرتبط بالجنون وفساد العقل، وبذلك ارتبط السجر في الرواية بالجنون الذي يصيب المثقف جراء تصادمه مع الواقع المزيف الذي يعيشه. كما ارتبطت الطقوس السحرية ببعض المعتقدات وممارسة طلاسم متعددة كتعويدة الإيمان بأن الملح عندما تستعمله مع مجموعة من الطقوس تتحقق لديك الأمنيات:"أقوم برسم علامة زائد في راحة اليد ثم أضع فوقها القليل من الملح (...)كنزي الثمين وأبدأ في تطبيق مخططي الذي رسمته، ولنجاح التعويدة يجب أن أحترم القواعد التالية:

1–لايجب فتح قبضتي حتى أصل إلى باب المدرسة، وقبل الدخول أنفض الملح.

[1] رواية أودوميا: دار الخيال ، برج بوعريريج،الجزائر ط1، 2025، ص15.

[2] الرواية، ص40

2-عند سكب الملح عليها يحب أن أردد: اليوم ربح وليس ملح ثلاث مرات"[1]

ولذلك ترتبط هذه الطقوس بالمكون الثقافي الشعبي الذي يزخر بالكثير من هذه الطقوس الذي كان يؤمن بها، باعتبارها تحدد مصيره في الكثير من المواقف.

الأمثال والحكم: ارتبطت الرواية في الكثير من مواضعها بتوظيف الأمثال الشعبية كمحمول تراثي ، يصور زيف العلاقات وفقدان الثقة بالأشخاص الذين حوله، فلا يوجد هناك من تضحي لأجله وهذا مايلخصة المثل الشعبي القائل:"كرطوشي نخسروا عللا حجلة حرة، أما حمام السطح بحفنة قمح نلمموا....تبا"[2]

-الشعر الشعبي والأغنية الشعبية: تتمثل الأغنية الشعبية في ذلك الشعر الذي ينسجه العامة ويصبح متداولا يغنى في المناسبات والأفراح كما قد يرتبط بمواقف محددة، وقد أوردت الكاتبة بعض النصوص الشعرية التي كانت على صلة وثيقة بمضامين الرواية في أدق جزئياتها:" -رفعت يدي ليميم وتوجهت للخالق رب العالمين.

-ايزيدني في الرفعة ويقربني من الشفعة.

- شفاعة سيدنا النبي من هوال هذا العام.

- عام مذلول جاني في المنام ايقول:

-ياسيدي الشيخ ارحمني بدعائك للطيف.

-يلطف بيا من هول الدنيا.

-راهو قل الخير فيا.

---

[1] الرواية، 101

[2] الرواية، ص76.

– صبحت جافي والدمعة ما طيح ليا.

–لاعلى مسكين ولا يتيم، ولا على مريض في السبيطار ايهيم.

–مهما اتضرع ليا.

–حتى لو كلن يذبح لي ضحية.

–كثر لكذب فيا والوعود الخيالية

–يسنى فيا نطيح بين نيابو، ويشفي الظهر غليلو فيا.

–الإنسان مقهور طايح بين سبحة وبخور.

–يستنى في كشف المستور.

– والمستور قابع في بئر مطمور.

–لا يوصلوا جن ولا إنسان إلا إذا حب الزمان.

–قتلوا ياولدي العام اتمهل في سردك للأيام.

–درك نبخرلك بالعنبر والجاوي ونفتحلك أسرارك قدامي.

–غرك تاريخ لجدود.

– لي زيفوه وحرقوه وعاودوا كتبوه.

–أوهموا السامع بكل ما هو موجود.

– فتجمد عقل الإنسان ونزل مرتبة الحيوان

–لا ينفع فيه لا حروز لا طلاسم لا فاتحة.

–فيق ياعدو الذات وتلفت للماضي لقريب اللي فات

-خوذ منوا العبرة لي تنسات.

-وسطر لمستقبل جديد"[1]

ومن خلال النظر في هذه الأغنية الشعبية التي تنتمي إلى الشعر الملحون، نجدها تقوم على بنية إيبقاعية تتناغم في الكلمات ، ويزخر أسلوبها بروح مفعمة بكل معاني الحسرة و نقد تناقضات الواقع المعاش، فارتبطت بالموروث الشعبي الثقافي الذي أعطى النص الروائي بعدا إيديولوجيا وتاريخيا ودينيا.

ارتبطت المقاطع الشعرية الموظفة في الرواية بمعجم دلالي تسوده معاني الخوف والزيف والموت والجريمة ، وهنا يورد مقطوعة شعرية بعنوان(سمفونية الموت) قائلا فيها:

-ما صبر الإنسان على حال.

-إذا شبع طار وإذا جاع جار

-يتفنن في الظلم وحقرة المحقور.

-لا حاكم في دينو ولا في أصولو ولا في تاريخ اجدادوا

-راهو يصول ويجول في المجهول.

-ديما مزطول في الزنقة ايدور.

-راسوا متحجر ومتزمت ومتعنت

-ايسمي روحوا متمرد.

-فيق يامسكين راهو الزمان يطير.

-وما يبقى غير العلم والإنسان

[1] الرواية، ص ص 135.134.133

-أنا شيخ التاريخ وندوب في المستقبل لمليح.

-ولي يديه مسودة بلحموم يجي نهار وتسود وجهوا.

-كاين الرب العالي هو اللي يرعى ويصون"[1]

ارتبطت هذه المقطوعة الشعرية بإبراز المحمول التراثي كآلية بارزة في النص الروائي مشحونة بالسخرية والنقد اللاذع للصفات السلبية التي يحتكم إليها الفرد المعاصر من فساد ووقوع في الردائل، ومن هنا يدعو إلى التمسك بالصفات التي تحقق إنساني الإنسان ، وتثبث هويته وثقافته، وتبعده عن دعوى الحداثة من الاندماج في ثقافة الآخر، والانسلاخ عن الهوية لتحقيق الوجود الإنساني، والحقيقة أنه لا يمكن تحقيق وجودنا بمعزل عن الاعتداد بهويتنا المترسخة في الوعي القومي والمتمثلة في الهوية التاريخية والدينية واللغوية والتراثية.

2-النسق العلمي:

يرتبط النسق العلمي بحضور المعرفة العلمية والعقلانية داخل النص الروائي، سواء من خلال طريقة التفكير أو تفسير الأحداث التي سارت بطريقة عقلانية بعيداً عن التفسيرات الغيبية أو الخرافية، إضافة إلى الدعوة إلى محاربة الجهل والانغلاق الفكري.

حيث تطرح الرواية بعض المعتقدات البالية والتي تنم عن الجهل في أعلى مستوياته، فتعرض أمثلة تستنكر من خلالها بعض السلوكيات وتدعو إلى تجاوزها وتبني، رؤى علمية تنهض بالمعرفة والفكر والثقافة

[1] الرواية، ص ص 137.136

"تذهب إلى تلك الزاوية إلى أحد الشيوخ المالكين التي يرتادها النسوة كل جمعة للتبرك والتمسح بجدرانها وتقوم خالتي "الفيلالية" باقتطاع شرائط ملونة من ستائر حمراء وصفراء وخضراء... لتوزعها على الزائرات بعد أن تطيبها بالقليل من البخور"[1]

وهنا تعرض الكاتب إلى هذا الاعتقاد القديم والمعروف في كامل أنحاء الوطن وخارجه حيث يعتبر من عاداتنا وتقاليدنا الدينية الخاطئة، إذ يعبر عن جهل وانغلاق فكري ، تكسب الجماد والبشر قوة إلاهية لها القدرة على تقرير المصير. فدلالة النسق العلمي هنا، تمثلت في دعوة صارخة إلى تبني تفكير سليم خالي من المغالطات والسلوكات السيئة للقضاء على الأفكار السلبية وتبني كل ماهو إيجابي

يمتزج النسق العلمي في الرواية عند الكاتبة" بين الاهتمام بالمعرفة والثقافة وتحليل السلوك الإنساني ونقد الجهل والبحث عن الأسباب الواقعية للمشكلات، وهنا أسهمت الرواية في ترسيخ قيم الوعي والتفكير العقلاني.

ارتبط حضور النسق العلمي بغلبة المعجم الاصطلاحي العلمي ، حيث توفرت الرواية على معجم علمي مليء بالمصطلحات العلمية، نأخذ منها:

العلم، التكنولوجيا، المختبر، المصل، لتعديل الجينات الوراثية، التطورات السلوكية، أطباء، ممرضين، صيدلية، إسعاف، المستشفى، التجارب العلمية، الرياضيات، الفيزياء ...إلخ.

دلت هذه المصطلحات على اهتمام الكاتبة بالجانب العلمي والذي هو أساس الحياة، خلق الإنسان للتعلم، إذ أن هدفها هو تعديل جينات وراثية في القرد إذ نجحت تسمى طفرة علمية، فهذا كان هدفها

1 الرواية،ص 14

منذ البداية والتي كرست مجهودها كله لأجله. رغم أنها بحوزتها شهادة صيدلة لم تفتح صيدلية كأقرانها، بل غامرت وفتحت مختبر من أجل أن في تجربة علمية بحتة ألا وهي تعديل الجينات مصل وراثي ووضعه للقرد. حيث أن التجربة نجحت فالقرد أصبح أكثر ذكاءً ووعيًا ورتب سلوكاته إلى الأفضل.

يتجلى النسق العلمي في الاهتمام بالمعرفة والقراءة والتعلم، حيث تبدو الثقافة وسيلة لفهم الذات والوقائع وتجاوز الأزمات، وهنا تبرز أهمية الرواية باعتبارها محمولا فكريا يربط بين العلم والثقافة في بناء شخصية واعية وقادرة على مواجهة التحديات، ولعل هذا ما تمثله الشخصية البطلة في الرواية تلك الشخصية الشغوفة بحب الاستكشاف.

اعتمدت الرواية على وصف الحالات النفسية للشخصيات وتحليل دواخلها باعتماد المنهج العلمي في دراسة السلوك:"لذا انسحبت من مخاوفي احتمالاتي وعدت إلى البيت، ألقيت نظرة على غرفتي التي وجدتها مبعثرة.لم تكن لدي قدرة كاملة لتنظيمها، وكيف أنظمها وبداخلي فوضى عارمة، أخدت نفسا عميقا وارتميت على سريري، وكأنني فوق سرير الموت أنتظر جرعة سم ليتم تنفيذ حكم الإعدام"[1]، وهنا تحاول الكاتبة أن تقدم ملامح الاضطراب النفسي التي تعيشه البطلة جراء الواقع المؤلم ، وتقترح حلا للخروج من الأزمة كعلاج لجراحها الدامية، وهي الاستسلام للظروف أو الموت، لتجد ملادها في الأخير فيما تنجزه من أبحاث وتجارب علمية في مخبرها.

تضمنت الرواية توضيفا لأهم الإشكالات المطروحة في المتن الروائي المعاصر وهو موضوع الذكاء الاصطناعي الذي صار استعماله في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية ومن خصائصه تسهيل حياة البشر في شتى المجالات

[1]/الرواية، ص122

كما تتضمن دراسات متعددة لعلم الجينات /:"سارعت إلى إحضار إبرة الفراشة لسحب قليل من دمه ومعاينتها تحت المجهر كما أدخلت عينة من دمه في جهاز cbc، لتحديد نمو الخلايا، كنت أشتغل والتفت إلى ريمي، ياإلاهي هل نجحنا في تجميد خلايا ريمي؟، هل نجحنا في تجميدadn يعني المحافضة على الجسد دون أن يتحلل"[1] ، وهنا يبرز النسق العلمي من خلال توظيف مصطلحات علمية ترتبط بعلم الجينات ك: جهاز cbcوتحليل adn، وحفظ الخلايا، وتجميد الخلايا ، الخلايا الحية وغيرها من المصطلحات التي تشير إلى ارتباط الكاتبة بالنسق العلمي.

تقدم الرواية صوراً لبعض السلوكيات أو المواقف الناتجة عن الجهل أو التعصب، وتقابلها بأهمية الوعي والانفتاح الفكري. الذي يحارب هذه العادات والتقاليد المتشبعة من العرف الثقافي والتشبث بالتقاليد الجزائري، هو بدوره مرت عليه العديد من المراحل الصعبة والطويلة من الكفاح والنضال لكي وصل إلى هذا التقدم نوعا ما يكون نسبي علميا.

قدم لنا الرواية مختلف الأزمات التي تعيشها الشخصيات باعتبارها أحداثاً معزولة فقط، بل تربط الرواية العوامل الاجتماعية وثقافية ونفسية يمكن تحليلها وفهمها ، ويتجلى ذلك من خلال ارتباط بعض مقاطع الرواية بالوعي الإنساني ومشاركة القضايا الإنساني، مثل إيراده لمأساة الحرب على غزة من طرف الصهاينة :"ساشا تعاني من انهيار عصبي بسبب ما يحدث في غزة وزادها الأمر سوء خبر مقتل والدها، علمت عندما كنا في اجتماع طارئ لدراسة الوضع في غزة أمام الأمم المتحدة، أعددنا تقريرا مفصلا بانتهاكات صهيونية ضد الإنسانية"[2]

[1] الرواية ،ص104

[2] الرواي،ص 110

3 – النسق الذكوري:

يتمثل النسق الذكوري في مجموعة من الأفكار والقيم التي تمنح الرجل السلطة رمزية أو اجتماعية أو سياسية داخل المجتمع وتجعله في موقع القيادة و الريادة والتأثير، وفي الرواية "أودميا" يتجلى هذا النسق من خلال الشخصيات الذكورية ومواقفها وعلاقتها بالمجتمع والسلطة.

وصف الرجل بأنه صاحب سلطة سياسية في العديد مقاطع الرواية التي أرسلتها، نجد السارد يتحدث عن انخراطه في العمل الحزبي والسياسي، وهو في مجال يهيمن عليه الرجال النسق هنا يهيمن بالهيمنة.

سهم يربط بالعبارة الاقتباسية: "كنت أنتسب إلى أحد الأحزاب السياسية المسيطرة في البلاد"[1].

يكشف هذا المقطع عن حضور الرجل داخل فضاء السلطة واتخاذ القرار، وهو ما يبرز أبرز مظاهر النسق الذكوري الذي يربتط بالقيادة بالنفوذ كما ترتبط صورة الرجل هنا بالقوة والقدرة على المواجهة والدفاع. الرواية لا تكتفي بإظهار هذا النسق بل تمارسه لنقده، فالسارد يعرف بأن السلطة السياسية التي كان جزءاً منها تقوم على الإشاعة والأكاذيب. وهنا تكشف الرواية الجانب المظلم للسلطة الذكورية عندما ترتبط بالكراهية والتسلط والنرجسية والخصام، مما يجعل النص ناقداً لبعض الحساسيات التي تنتجها هذه الثقافات.

ولذلك ارتبط النسق الذكوري بالنسق السياسي الذي نجده مرتبطا بالرجل دون المرأة، لكون المرأة لا تملك من المواجهة مما يمكنها من خوض غمار السياسة،، فنجد السارد يتحدث عن انخراطه في العمل الحزبي والسياسي، وهو مجال يهيمن عليه الرجال وارتباط السياسة بالاستبداد،"كنت أنتسب إلى أحد الأحزاب السياسية المسيطرة في البلاد"[2].كما يصف السارد عالم السياسة بوصفه قائماً على الصراع والمواجهة واستعمال الخطاب العنيف،"كنت حاداً في الرد على الهجومات المعلنة من قبل الأعداء الحزبية"[3]. وهنا كانت السيطرة

---

[1] الرواية ، ص20

[2] الرواية، ص28

[3] الرواية ،ص89

الذكورية مرتبطة بحدة الطباع والحس الهجومي التي تمتلكه الشخصية البطلة في الرواية "كنت حاداً في الرد على الهجمات المعلنة من قِبل الأعداء"[1].

تورد الكاتبة صورة المرأة كهامش في المجتمع تخضع لسيطرة الرجل الذي كثيرا ما يهملها. ذلك أن العادات وتقاليد المجتمع تفرض عليها واجبات تتلخص معضمها في خدمة الرجل ، والخضوع التام لسيطرته،مثل طاعة الزوج، والامتثال لأوامره ويتعين على المرأة عدم الخروج على طاعة زوجها. "لا تعرف في شؤون الحياة سوى طاعة الولاء لزوجها الذي لم يكن يصلح لأن يكون زوجاً ولا أباً"[2]، وهنا تحاول الكاتبة نقد سلطة النسق الذكوري كآلية دفاعية على الاعتراف بقدرات المرأة وتمكنها من المسؤوليات الكبرى التي يعجز الرجل في الكثير من الأحيان، أو يتماطل عن آدائها، وهنا تصبح سيطرة ومركزية الرجل على حساب المرأة كإنسان يتمتع بحقوق تفرضها السلطة المجتمعية، وواجبات تجعلها تنصاع لسلطة العادات والتقاليد، فتتحمل لامبالاة واستهتار الرجل الغير مسؤول: "تلك الليلة حاولت أمي منعه من التلاعب بمال الهكتار الذي باعه من المزرعة وقد باع من قبل المحصول، أجزمت حينها أن تعيش معتمدة على ذاتها"[3].

تكشف الرواية عن حضور الرجل كسلطة مهيمنة ولعل هذا نابع من عمق العادات والتقاليد التي تهمش المرأة وتجعل الرجل مركز كل شيء، وبذلك ارتبط النسق ألذكوري بالقيادة والنفوذ، ومن خلال ما تقدم نجد الرواية تصف المرأة بمواصفات كلها تنم عن الخضوع والخنوع لعادات وتقاليد بل وثقافة تهمشها، إلا أن المرأة تمثل القوة الكامنة والمنقد والمصحح لكل أفعال الرجل السلبية ، تتبنى أخطائه لتصوبها بطريقتها الذكية، وهنا تكمن قوته ، حيث تورد حوارا داخليا مرتبطا بشخصية الأم التي واجهت كل الصعاب والتحديات والتنازلات التي قدمتها مقابل أن يحضى أبنائها بالراحة والطمأنينة في بيت سيطرت عليه سلطة الأب الذكورية السلبية "لا

---

[1] الرواية،ص77

2 رواية أودوميا ص 12

[3] الرواية ص52

تتحدث بصوتك و تحدث بعقلك لتسمع نفسك و نسمعك."[1] ، وينم هذا الحطاب عن الاضطراب التي تعيشه المرأة في مجتمع يهمشها ويعلي من صوت الرجل رغم عدم قدرته على التسيير الإيجابي لأسرته كفضاء ضيق يمثل ركيزة المجتمع.

وانطلاقا مما تقدم يمكن القول أن النسق الذكوري في الرواية لم يحضى باحتفاء كبير، فكانت سلطة الرجل تتلخص في قدرته على التسيير السياسي الإيجابي، إلا أن الرواية تحدد الملامح السلبية للرجل المتنصل من مسؤولياته، وهنا فقد مركزيته، فأصبح كبنية سردية ينم عن تناقض صارخ يزاوج بين إيجابيات التسيير السياسي، وسلبيات التسيير الأسري.

4 – النسق الأنثوي:

يُعد النسق الأنثوي من الأنساق الثقافية البارزة في الرواية إذ تحضر المرأة بوصفها فاعلاً أساسياً، كما تطرح الرواية قضايا تتعلق بمكانتها داخل المجتمع، وعلاقتها بالسلطة وسعيها إلى إثبات ذاتها والدفاع عن إنسانيتها ووجودها "إنها فتاة لا يمكن أن تكون أصولها عربية ربما أمازيغية الشيء، فبشرتها الطبيعية البيضاء والأخاليل المنثورة على نواجذها تبعت إشارات إلهية عن طبيعة عرقها."[2]

وهنا نجد الروائية تعتد بوصف هوية المرأة وثقافتها وعرقها، باعتبارها قيما تتبث ارتباطها وانتسابها وانتمائها، متجاوزة بذلك القيم المجتمعية التي تنسب المرأة دائما للرجل كهوية ملازمة لها، وهنا يظهر النسق الأنثوي من

[1] الرواية ، ص65

[2] الرواية ، ص21

خلال نقد البنى الاجتماعية والسياسية التي يهيمن عليها الرجال، فتظهر مقولات تحدد العلاقة بين الرجل والمرأة باعتبارها مصدر الصراع والهيمنة والمصلحة بينما تحضر المرأة كبديل و مكمل ، ولهذا أرادت الكاتبة أن تعلي مكانة المرأة لتجعلها فردا فاعلا في المجتمع.

كما يظهر النسق الأنثوي في الرواية من خلال سيطرة الرجولة وممارسة العنف ضد المرأة، وهنا تخلت المرأة عن طبيعتها كمصدر للحنان والعطف فأصبحت تحمل للرجل مشاعر الكره والرفض:"أتوجس بداخلها كرها شديدا له، وأسمع دعاءها عليه، تتمنى لو يتعفن قبل أن يموت"[1] وهنا تصف علاقة الأم والأب بالعلاقة المضطربة المبنية على النفور بسبب السلطة السلبية التي يمارسها ذلك الأب السكير.

تنتقد الكاتبة مظاهر الزواج القسري الذي كثيرا ما يظلم المرأة:"تسقط المرأة في مصيدة الظروف التي تعيشها لتعقد صفقة الزواج مع من لا يستحقها لتبصم بسبابتها اليمنى بكل ثقة(..) فتبرمج ذاتها لتنصهر في لعبة الهيمنة، حياتها عبارة عن سجن مفتوح يصعب الخروج منها لتصبح العبودية اختيارا ناضجا"[2]

تتجاور المعاني الموحية بتقييد حرية المرأة في اختيار الشريك، لتجعل من حياتها جحيما لا ينتهي، ولعل ما يضمره هذا الخطاب أن وعي المرأة ليس شرطا لتحقيق ذاتها، وإنما الوعي المجتمعي والسلطة المجتمعية هي المحرك الوحيد الذي يسير المرأة قسرا وليس اختيارا، وهذا إنما يدل على قدرة التحمل التي تتصف به المرأة، وما تمتلكه من صبر وشجاعة للحفاظ عللاى أسرتها من الضياع والتشتت.

ظهور المرأة بوصفها صوت أنثوي يبعث على الراحة والسكينة يكون ملجأً للأمانة، فالأهم من الوطن مهما ابتعدت عليه نحن ونشتاق للحضن الذي ترمز نفسك إليه.

---

[1] الرواية، ص11

[2] الرواية ، ص13

"توجهت إلى البيت فوجدت أمي رغم تعبها قد حضرت لي الغذاء كعادتها اليوم حساء العدس، جلست جانبها حول المائدة نتبادل أطراف الحديث سألتني عن سير عملي(...) طمأنتها عن نفسي وعن عملي وأن كل شيء على أحسن ما يرام فما كان منها إلا أن دعت لي بالهداية والسلامة "[1]. وهنا تصف الكاتبة دور ومكانة الأم في المجتمع باعتبارها رمزا للتدبير والسكينة بما توفره من بيئة عاطفية ومحمول روحي إنساني، باعتبارها رمزا للاستمرارية والحياة، ورغم شعور السارد بالضياع والخيبة إلا أن علاقته بأمه تعيد له الشعور بالثقة والثبات والأمان في مختلف تفاصيل حياته، وبالتالي تبقى الملاد الوحيد للشعور بالأمان: "هي الأذن التي تسمعني والشفاه التي تبتسم لعدم فهمها لما أقوله"[2]، وهنا يلجأ إليها عندما يعيش أزمة نفسية وفكرية بعد تجربته السياسية وخوض غمارها المثقل بالمشاكل والصراعات، حينها يجد الأم موطناً روحياً ومعنوياً ومأوى له. ولذلك تكتسب ا المرأة في الرواية وظيفة مركزية، لا بوصفها شخصية هامشية لكونها مصدرًا للاتزان النفسي ونشر القيم الإنسانية،باعتبارها أعظم وأرقى كائن بشري، وذلك انطلاقا من الحضور الطاغي لصوت الأم وتوجيهات السردية ، وهو ما يمنحها ويجعلها شخصية محورية داخل النص.

ولذلك يُعد النسق الأنثوي من الأنساق الثقافية البارزة في رواية "أودوميا" إذ تحضر المرأة بوصفها فاعلاً أساسياً، كما تطرح الرواية قضايا تتعلق بمكانتها داخل المجتمع، وعلاقتها بالسلطة (السلطة الذكورية)، وسعيها إلى إثبات ذاتها والدفاع عن إنسانيتها، وهنا تلغى هامشية المرأة مقابل مركزية الرجل، لأنه في الكثير من المواقف تعلو سلطة المرأة لقوة حكمتها وتأثيرها الإيجابي في المجتمع.

[1] الرواية ، 16

[2] الرواية ، ص30.

تصور الرواية النسق الأنثوي باعتباره إطارا فكريا وثقافيا شاسعا في مساحته إذ يتناول قضايا المرأة. وينتقد تجربتها في المجتمع من حيث دورها و مساحة ممارسة حريتها وواجباتها كفرد حيوي ونشيط داخل المجتمع .

5/النسق الديني:

يرتكز النسق الديني في رواية "اودوميا" على طابع ديني تراثي. حيث فيتجلى الموروث الأسطوري والخرافي، مناقضا للمحمول والبعد الديني، حيث تتمحور الأحداث حول رحلة البحث عن الهوية الروحية وترسيخ الجانب الديني والروحي إذ يمثل الدين جزءا أساسيا من تشكيل هذه الهوية الدينية، ولعل صفة التناقض الناجمة عن تلازم الديني والخرافي أدى إلى حدوث صراعات داخلية بين المعتقدات الشخصية و التقاليد المجتعية .

" و كان التنجيم يحدث انقلابا في الحياة لممارسته على الطريقة البابلية القديمة واستعنت بكيد ذبيحة . حيوانية اقطعها الى أجزاء صغيرة ثم اجعلها على شكل حلقة لاتوسطها و اوجهه سهما السماء وانتظر سقوطه ."[1]

هذه العادات والتقاليد التي ذكرتها الكاتبة تندرج ضمن سلوكيات اجتماعية سلبية ومنافية لديننا الحنيف. فالتنجيم والسحر يدعو إلى الكفر بالله ، وكما أن طرح ومناقشة هذا الموضوع في الرواية كونه سائدا في المجتمع العربي الجزائري يعد من الطابوهات التي وجب على الوعي الجمعي محاربتها بالرفض .

ولعل طغيان الجانب المادي على الروحي في الرواية نزع عن الإنسان صفة الإنسانية، وهذا مناف لما يدعو إليه الدين الحنيف ، من نشر المحبة والتسامح وهذا ما يثبته النص التالي: "وكل المشاعر تتحول الى كتلة من الشر

1

القاتل ، كل الحب يتحول في لحظة إلى الحقد لا نعرف .كيف كان مخبئا "[1]، ويعد النص دلالة على طبيعة الواقع الذي نعيشه والذي استبدلت فيه الإنسانية بالآلة ، مما غيب أبرز صفة تميز بها الإنسان ، عن بقية الكائنات ، فالإنسان بما يتصف به من القدرة على تقبل الآخر بشره وعدوانيته، يملك من القوة الروحية التي تمكنه من ترويض الحيوان، وجعله صديقا له وهذا ما تبرزه علاقة البطلة بالقرد.

– يعمل الجانب الديني في تفعيل البيئة المحيطة بالفرد و فيعدل شخصيته و يجعلها أكثر اتزانا وأكثر عمقا في التفكير.وذلك يكون بتربية الأجيال والنشئ على التعاليم الدينية.

– يقوي الجانب الديني العديد من الروابط، كتمجيد الأم باعتبارها مأمنا عند الخوف، وملادا عندما يتخلى عنك الكثير

تستحضر الرواية النص القرآني، عللاى سبيل الاستشهاد:" وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أنا لا يهمني من تكونين المهم أنك إنسانة تسري في عروقك دماء آدمية"[2]، وهذا إنما يدل على سماحة الدين الإسلامي وتقبله الإيجابي للآخر رغم اختلفت ديانته.

6–النسق الفلسفي :

يقصد بالنسق الفلسفي حضور الفكر والمقولات الفلسفية و طرح الأسئلة الوجودية التي تعد طبيعة فطرية في البشر فالإنسان بطرحه أسئلة محورية حول كيفية الخلق التي بدورها صعبة التفكيك والحل تجعله يمارس فعل التأمل في الوجود وفي الكون والظواهر الطبيعية. مرتبطا بقيم إنسانية كالحقيقة والبحرية والمسؤولية .ويعد هذا

[1] الرواية، ص22

[2] الرواية، ص53

النسق من الانساق البارزة في رواية "اودوميا "،حيث تتحول الرواية إلى فضاء للتفكير والتساؤل و مراجعة القرارات المتعلقة بأهم تفاصيل الحياة في مراحلها المتعددة الطفولة والشباب وصراع الحياة والموت.

يتجلى النسق الفلسفي في الرواية في عدة عناصر منها الشك ومراجعة القناعات فينتقل السارد بنا من اليقين إلى الشك .ومن التسليم بالأفكار الجاهزة إلى مسائلتها ونقدها."اعتزلت السياسة(...) كم قذرتني تلك السياسة ."[1]

يعبر هذا الموقف عن مراجعة فكرية عميقة .اذ لم يعد السارد يؤمن بالمبادئ التي كان يدافع عنها ويسير على هديها سابقا.بل أصبح يعيد النظر في في تجربته كلها ، وهنا يبرر البعد الفلسفي القائم على النقد والتساؤل .

يطرح النص إشكالية الحقيقة والتزييف .من خلال اعتراف السارد بأنه كان جزءا من عالم يقوم على التزييف والخداع: "كنت أتقن كثيرا الكذب والتزييف في الواقع السياسي (...)التامل في معنى الوجود الشاهد"لاثقة ولا أمان "[2] ، ومن هنا ترتكز الرواية في بعدها الفلسفي على انتقاد زيف الواقع ، وما يكتنفه من فساد أخلاقي، منتقدا الفكر القائل بأننا نعيش في عصر التكنولوجيا، مقولة المدينة الفاضلة كما صورها أفلاطون، ولكن الحقيقة عكس ذلك إنها التصور المناقض للمدينة الفاضلة، بل هي تجسيد للفساد والعهر :"يوم آخر في المدينة الفاضلة التي تعج بالفضلات البشرية"[3]، ولذلك وضعت الكاتبة بعض الرموز في نصها الروائي الذي يحاكم الواقع المتردي ، ليرتبط النص بالحلم فكانت "المدينة الفاضلة" باعتبارها مفهوما فلسفيا، يورده

[1] الرواية، ص29.

[2] الرواية،ص55

[3] الرواية، ص8

المبدع كمعادل موضوعي ، لعالم بديل يسوده العدل والسلام والمساواة والسلم وتختفي الصراعات الطبقية والمشكلات الاجتماعية.

يعيش السارد حالة من القلق الوجودي و الشعور بالضياع بعد فقدان الثقة في المحيط الذي ينتمي إليه: "تشعرني تجربة الحياة بالقلق الميتافيزيقي، أو بالأحرى القلق الوجودي، أنهض من فراشي باكرا صوب نافدتي المطلة على العالم لأتحسس ذاتي وكياني، أحرك أناملي وأتمعنها ها أنا اليوم مازلت على قيد الحياة"[1]، تربط الرواية القلق الوجودي كمعطى فلسفي بثقل المسؤوليات، وضغوطات الحياة، وفساد المجتمع كون المثقف دائما يحمل هموم مجتمعه ، التي تتحول إلى إشكاليات وقضايا فكرية، تؤرق المثقف وتجعله يخوض في معالجتها، باقتراح حلول لها.

تستعرض الكاتبة مفهوم الأخلاق والحرية، إذ تبدو الرواية تستجوب مفهوم الحرية في سؤال مطروح: "هل يملك الأفراد حرية الاختيار، أم يكون الإنسان حراً طليقاً أم يكون مقيداً؟"[2] وهنا تحيلنا إلى مقولة فلسفية مفادها أن حرية الإنسان تنتهي عند بداية حرية إنسان آخر.

أما بالنسبة لمعيار الأخلاق التي تدعو إليه الرواية، فتصب في محاولة تصحيح الأفعال، وكيف أن الاختيارات الأخلاقية قد تختلف بناءً على الظروف والسياقات، فعند هذه النقطة يتداخل العقل والعاطفة لتحديد الاختيار الصحيح بناءً على المعرفة الذاتية والشعورية ، وهذا مايحدد طبيعة العلاقة بين الأشخاص. فلكل فعل ردة فعل، إذ أن الإنسان عندما يتعامل معك بإيجابية وحسن تكون ردة فعلك بالمقابل أن تُحسن التصرف معه وتعامله بالإحسان كما قيل: "وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان". وهنا تطرح الرواية فلسفة الوجود باعتبارها مسألة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بطبيعة العلاقات الإنسانية الزائفة والمبنية على المادة،:"المهم حصيلة النتائج الظاهرة للعلن

[1] الرواية، ص87

[2] الرواية، ص36

تشير إلى درجة متقدمة من التعفن الأخلاقي، وفقدان الوعي المجتمعي، و؟أحلام اليقظة والتغني بالعبثية المنظمة"[1]، ولذلك تعبر مختلف الأنساق الثقافي عن تساؤلات وقضايا فلسفية تنتقد الواقع وتحلل خباياه ، ومن هنا تعدد ملامح النسق الفلسفي بين التساؤل حول الوجود، والبحث عن المعرفة، والأخلاق. إذ نجد في طياتها فلسفة الوجود، حث تسلط الضوء على مختلف تشعبات معاني الحياة، والوجود البشري، وكيف تتحدد الهوية البشرية من خلال التجارب الشخصية:"إنني أسير وراء المستحيل بالمكان لعل يمكن حقاً أن نحدث انتقالاً في تاريخ الإنسانية؟ هل أستطيع أن ألغي حقيقة الوجود لأشطب لونه على السلم فيصبح مرئياً؟"[2]، هذه التساؤلات المطروحة تعبر عن ذات تائهة وسط تفكير مجهول، إذ أن الوجود البشري دائماً يطرح أسئلة حول الظواهر الكونية وكيفية الخلق، كما تتناول الرواية المسائل المعرفية ومدى قدرتنا على الوصول إلى الحقيقة، وكيف يؤثر السياق الثقافي والتاريخي على تفكيرنا ولعل هذا ماتبرزه الكاتبة من خلال قولها:"لا بد أن تفصل حبلك السري الذي يربطك اليوم بكتلة العالم . هذا العالم الموبوء الذي تسبح في فلكه أفكار مبتدلة عن القيم والعلاقات والحياة"[3].

إذ يمثل الموجود الهوية، من خلال البحث عن الذات الضائعة في الرواية إذ تركز على كيفية تشكيل الذات الشخصية من خلال التجربة الفردية والتفاعل مع العالم الخارجي، الذي بدوره يعكس لنا فكرة المفهوم الذات في عالم متغير وزائف متغير ومتأثر بالصراعات والتجارب الشخصية.

تعيد الكاتبة عرض إشكالية أخرى وهي البحث عن الحقيقة بعيداً عن التزييف، من خلال اعتراف السارد بأنه كان يؤمن بالمبادئ التي كان يدافع عنها ويسير على خطاها سابقاً، بل أصبح يعيد النظر في تجربته كلها. إذ

---

[1] الرواية :،ص15

2 الرواية ، ص13

[3] الرواية ص8

يبرز هذا السلوك الفلسفي القائم على النقد والتساؤل، وتوضيح الأبعاد الفلسفية للوجود فالفلسفة: "تسقط الفكر المستهلك وتعلم فن الكلام، تبحر بك في عوالم العقل لتنير أقصى الأماكن المظلمة التي عششت فيها عنكبوت الجهالة"[1]، وهنا ترتبط الرواية بشرح العلاقة الوثيقة بين فلسفة الحياة ، وقدرة الفكر البشري على تجاوز الواقع المزيف من خلال التشبث يقيمه وعاداته، وهويته في عالم الزيف والفساد الذي نعيشه.

إذ أن الأديبة حولت من الرواية رحلة البحث عن الحقيقة الواقعية خاصة الواقع السياسي، الذي ارتبطت به بعض شخصيات الرواية وعلاقاتها بالأحزاب السياسية،فنجد الأب كشخصية ذات منحى سياسي أ وكلت إليه مهمة محرر الحزب والدفاع عن الحزب والهجوم على أعدائه، حيث مكنته هذه التجربة من التفريق بين ما هو حقيقي وواقعي وبين ما هو مزيف وكذب ومجرد كلام. وهنا يسيطر البعد الفلسفي للرواية فيخضع التفكير الإنساني إلى معايشة تجارب إنسانية، يكتسب من خلالها القدرة على تمييز نوايا البشر، والمكنونات السرية التي تفضحها تصرفاتهم السلبية في الكثير من الأحيان.

[1] الرواية، ص53

7-نسق الموت والجريمة:

ترتبط فكرة الموت كنسق مهيمن في الرواية ، ومتكرر حتى أصبح جزء لا يتجزء من أحداث الرواية، ممارسا سيطرته وتأثيره على الشحصيات ، فارتبط بالفقد والخسارة، معبرا عن معنى الحزن والفراغ الروحي التي تتركه تلك الشخصيات التي كانت في يوم من الأيام جزء أو مرحلة مهمة في صقل حياة البطل، فيأخذ موت الأم كحدث سردي يدل على قوة مشاعر الحزن والألم الذي ينعكس على القلب والعقل وكل الجوارح. في الرواية نجد أن موت الأم كان جراء حادثة غير متوقعة بفعل الأب فزوجها بعد ضربها دفعاً تسبب في سقوطها وضربت على رأسها فكانت ضربة على الرأس مباشرة. وهذا ما أدى إلى تشكل صراعات داخل الشخصية مسببة لها الكثير من الأذى النفسي والاجتماعي.

ارتبط الموت في الرواية كنسق رمزي بالصراعات الذي يفرضها الواقع المعاش في بيئة مضطربة فتقول الروائية:"إذا أردت أن تكون حيا وتجدف اتجاه اللاتوقف، وبعيدا عن أي موت يحمل نعش نهايتك لا بد لك أن تفصل حبلك السري الذي يربطك بكتلة العالم، هذا العالم الموبوء الذي تسبح في فلكه أفكار مبتدلة عن القيم والعلاقات"[1] ، وهنا يحمل الموت دلالات إيحائية مضمرة تتجاوز المعنى السطحي للموت، إلى معنى آخر أكثر عمقا وهو موت الإنسانية واضمحلال العلاقات الانسانية، وانتشار الآفات والرديلة والفساد، فهو موت محتم للقيم الأخلاقية، وكأن بها تريد أن تشرح ما آل إليه المجتمع المعاصر من مادية مفرطة، ألغت القيم الروحية والإنسانية للبشر

وهنا أفرزت الرواية خلفية تاريخية تعكس التغيرات الاجتماعية والسياسية التي تؤثر على الشخصيات، ولذلك ترتبط الرواية بالموت كرمز للدعوة إلى ، حيث تربط الروائية مراحل حياتها بتفاصيلها المباشرة وغير المباشرة، تسرد من خلالها معاناة الواقع الاجتماعي والشقاء الذي يعيشه الفرد الجزائري خاصة قولها: "الموت

[1] الرواية، ص80.

يميل إلى اللطافة، تندلع وجهي صدمات تحمل عبق المدينة وتاريخها لا تذكر معها طفولتي، إلا أن منبه الساعة يخرجني إلى واقعي عقاربها تزحف ببطء كحية تترصد فريستها، دون شعور مني أمد يدي إلى جيبي لأنسج معها المستحيل"[1]

.تمكنت الروائية في حكايتها التمييز بأسلوب سردي يمزج بين الواقع والمتخيل وذلك بجعل اللغة تلامس الموضوع والعمق مؤثرة في نفسية القارئ ليحدث ردة فعل اتجاه الموت بالرفض والارتباط بالحياة، ولم تظهر تيمة الموت في معظم مقاطع الرواية إلا عن طريق استخدام الرموز بشكل مكثف تعبيرا عن المشاعر الخفية المرادفة للحزن والحسرة والبكاء، اعتمادا على معجم دلالي يجسد الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصيات، مبرزة الجانب النفسي للشخصيات الرافض لها ، فنذكر منها (الموت ، الضياع ، النهش، الخطر، استشفى، نحتضر، غادرتني، الكفن، وفاة أمي، مصائب، مصلحة حفظ الموتى، الجريمة، القتل). حيث عبرت الرواية عن نهاية الحياة من الجانب الفلسفي للموت، إذ أنه مرحلة طبيعية وحتمية من دورة الحياة . ارتبط مفهوم الموت بالسلطة الذكارية اتجاه المرأة وممارسة في حقها شتى أنواع العنف لتنتهي بجريمة قتل غامضة: "طردني في يوم حار جداً، بعد أيام صعبة بعد أن أخذت نصيبي من الركل والصفع، فقد دفعته عن أمي حيث كاد يقتلها ضرباً لكونها حديدية ارتطمت بجثتها ليصبح بلاط المطبخ أحمراً بعدما ذهبت بدمائها"[2].

ارتبط نسق الموت في الرواية بالجريمة، إذ تعد الجريمة كل فعل أو إمتناع يخالف القانون ويعاقب عليه بفرض عقوبة أو تدبير إحترازي ضد الجاني، إذ يقال أنه إتيان عمل محضور يخالف أحكام قانون العقوبات، يستوجب القانون فرض عقوبة جنائية ، إذ تنقسم جريمة الموت والقتل إلى نوعان عمدي وخطأ.

[1] الرواية ،ص9

[2] الرواية ، ص46

ترتبط الجريمة بمحاكمة الفعل الحيواني الغير مسؤول من خلال حادثة القرد المروض ضد الفتاة:"نزل من كتفها مسرعاً، تبدلت ملامح وجهه، ثم عاود القفر فوق ذراعها بحشونة ، ومن فرط ذعري تسمرت في مكاني لم أتفوه ببينت شفة، فسحب مخالبه وخدش وجهها وعض أنفها بقوة حتى كاد يغمى عليها من الصراخ(...) ثم قفز بسرعة البصر ليلتقط حجراً ملئ كفيه ويسدده نحو رأس الفتاة فتهاوت على الأرض وكأنها كتلة متلاحمة"[1].

ارتبط الموت بالدم والجريمة التي ارتكبها القرد في حق الفتاة، ذلك الحيوان الذي كان يعيش مع البطلة والذي وصفته بمواصفات تفوق إنسانية البشر، ولكن في لحظة من اللحظات تحول إلى حيوان شرس هاجم الفتاة بتلك القسوة، وهذا إنما يضمر مفارقة نقدية وهي أن الحيوان مهما روضه الإنسان سوف يرجع إلى طبيعته الحيوانية التي لا يمكن أن يتخلى عنها.

كما تدل محاكمة القرد وتصنيف طبيعته الحيوانية الشرسة كجريمة موازية لما يرتكبه البشر، إنما محاولة من الكاتبة إلى لفت الإنتباه إلى القضايا والجرائم الإنسانية التي يرتكبها الإنسان في حق أخيه الإنسان، وكأنها محاكمة افتراضية لتحول الإنسان عن طبيعته البشرية، حينما يرتكب جريمة معينة، فرغم أن الأب كعنصر إنساني قتل الأم إلا أن القضية ظلت متخفية عن القضاء بوصفه يصون حياة البشر، في حين حوكم القرد كحيوان لا يمتلك من العقل ما يمكنه من السيطرة على أفعاله السلبية.

8-النسق الأدبي والفني:

يعد النسق الأدبي والفني مجموعة التقنيات والأساليب الجمالية التي اعتمدتها الكاتبة في بناء الرواية وصياغة أحداثها وشخصياتها، مما يمنح النص الروائي قيمته الفنية والإبداعية. حيث يتجلى في الطريقة التي تبنى بها الأحداث وتروى الوقائع. نأخذ كمثال قوله:"خرجت متجهة إلى سيارتي أدرت

[1] الرواية، ص22

المحرك وانطلقت نحو الطريق العام شديد الازدحام غايته لاتكاد تغادر بصري التفت يمينا فإذا بطفلة بريئة المنظر بنافذتي المفتوحة، كانت سوداء البشرة مجعدة الشعر ملطخة الوجه تمد يدها إلي وتحمل في عيناها براءتين ذكرتني بـ "موكو" [1] اعتمدت الرواية على تقنيتي **السرد والوصف**، فارتبط السرد بتسلسل الأحداث التي تعيشها شخصيات الرواية،في حين كان الوصف أداة لشرح الوقائع ووضع القارئ في جو من مشاركة أحداث الرواية بتفاصيل أكثر ملائمة وانسجام مع البنية النصية "أفتح نافذة بيتي على الشارع الكبير، الطقس اليوم جميل، إلى اللعنة، إنه قديم ومحمل بنسمات تحمل عبق الماضي بتفاصيلها لا أتذكر منها لطفولتي إلا الآن منسوب العبارة يضم حنيني راقني مقارنات زحف بهدوء حية تفرز سم عريستها" [2]

كما ارتبطت أحداثها بتقديم الوقائع اعتمادا على أسلوب شعري طغت فيه الكثير من الصور البلاغية، والتشبيهات والاستعارات،و الرموز والإشارات التي تتجاوز قواميسها (معانيها) المباشرة، بحيث تتحول الكلمات، إلى إشارات، و الأحداث إلى رموز تُحيل على الحرية، أو الفتنة، أو البحث عن الذات، مما يمنح النص عمقاً ودلالة. وتكمن دلالتها الفنية في إثراء المعنى وإشراك القارئ في عملية التأويل.التي تسهم في إشراك المتلقي في السير بأحداث النص والمشاركة في تطوير أحداثه، وهذا ما منح النص بعدا جماليا.

و لذلك يتجلى النسق الأدبي و الفني في رواية "أودوميا" من خلال تداخل السرد، والوصف، والحوار، والرمز، واللغة الأدبية، والتحليل النفسي للشخصيات. وقد أسهمت هذه العناصر الفنية في بناء

---

1 رواية أودوميا ص 20

2 رواية أودوميا، ص20

نصٍ غنيٍ بالدلالات، يجمع بين البعد الجمالي والبعد الفكري، مما يجعل الرواية قادرة على التعبير عن قضايا الإنسان والمجتمع بعمق فني واضح.

حيث يبرز الجانب النفسي في النص الروائي من خلال الغوص والبحث في أعماق الشخصيات، ومعرفة كيفية تحليل مشاعرها ووصف أزماتها الداخلية.

إذ نجد الكاتبة تبدأ بالوصف الدقيق للبيت، ثم وصف الجو بأنه جميل يدل على نفسية مستقرة تميل إلى الراحة والاستقرار، فتجعلها راغبة في البقاء في نفس المكان الذي يذكرها دائماً بطفولتها حيث تحن إلى تلك الأيام التي كانت فيها طفلة بريئة، لكن منبه الساعة يرجعها إلى الواقع الحالي الذي تعيشه فتصدم ، وهذا ما يخرجها من تفكيرها العميق والحنين إلى الماضي، لتستفيق على حاضر بائس، ومن خلال استمال التأمل والحلم تعود إلى الماضي ثميحتم عليها الواقع الرجوع إلى الحاضر عن طريق ومضة استرجاعية أوما يعرف بتقنية الفلاش باك(الاستباق والاسترجاع).

كما يذكرها الماضي بصورة المدينة التي تسكنها عبر نسمات تحمل عبق المدينة مسقط رأسها حيث تربت وكبرت فكانت بالنسبة إليها كأنها الأم الحانية التي لا تتخلى عن أبنائها.

استعملت الكاتبة الرموز للإيحاء على معاني خفية مثل تمرد المرأة المعاصرة على العادات والتقاليد التي كانت تقيدها في الماضي، إذ نجدفي حاضرنا تحرر المرأة بتجاوز وظيفة المربية والمعتنية بأمور زوجها وأولادها إلى المرأة والأم صاحبة مشروع ناشئ وناجح، مديرة، قاضية، طبيبة صيدلانية، أستاذة، مربية، والكثير من المهن التي نجحت في امتحانها .

كأنها تحاول أن تنسى واقعها بالخروج عن كل ما هو متعارف عليه، فتحولت من النقد إلى الحنين كوسيلة للهروب من الواقع الذي تعيشه اعتمادا على تقنيات الوصف التي تنفس من خلالها عن مختلف

الكروب والأحزان وذلك انطلاقاً من بروز معجم لغوي يستند إلى الطبيعة كمتنفس، ويتكأ على التاريخ عبر خطاب الذاكرة كملاذ عميق يمثل هويتها فتقول:"أفتح نافذتي على الشارع الكبير، الطقس اليوم يميل إلى اللطافة، تداعب وجهي نسمات تحمل عبق المدينة وتاريخها لا أتذكر معها طفولتي إلا الآن منبه الساعة يغربني إلى واقعي عقاربها تزحف بهدوء كحية تترصد فريستها، دون شعور مني أمد يدي إلى جيبي لأسحب هاتف المستحيل، في مثل هذا الخريف قتل والدي على إحدى طاولات القمار "(1)

ومن خلال هذا الوصف تربط الرواية الحاضر بالماضي المثقل بالأحزان والهموم، تلك المشاعر التي تؤطر البناء الروائي في تشكلاته الزمنية الثنائية فتربط الماضي بالحاضر وفقاً للغة يمتزج فيها الواقع بالمتخيل.

تجمع الرواية أيضاً المعجم الدلالي الذي يعبر عن الحزن فأغلب ما ترويه يعبر عن حالة نفسية مضطربة، إذ تحمل بداخلها كرهاً شديداً لصورة الأب الذي يمثل سلطة رمزية طاغية ، فتنعته بخنزير البراري عندما يكون غائباً عن وعيه، فهي لا تجرؤ أن ترفع رأسها أو تنظر في عينيه عندما يكون ثملا،فسلطة الأب الفاسد دلالة على ما آلت إليه المجتمعات من فساد أخلاقي، نجم عنه سوء التسيير، وهذا ما أفرز مجتمعات مضطربة، وهنا حيم على معظم مقاطع الرواية جوا من الحزن، انطلاقا من توظيف معجم دلالي يحيل إلى الحزن والمعاناة: (أتوجس، خفت، يتعفن، الموت، لا تجرؤ، كرهها شديداً، تنعته، ينتابني، القلق، خطيرة، اضطرابات نفسية، عقدة...)

1 الرواية:ص39

كل هذه المصطلحات تدل على أن الكاتبة تعيش في أزمة نفسية كلما تعقد واقعها، حيث تلجأ دائماً إلى الهروب من واقعها إلى الطفولة والحنين إلى أيامها وماضيها .

يبرز في النص تداخل في الأنظمة اللغوية اللغة ،حث يمتزج السرد والوصف بالحوار، باعتبارها تشكل نسقا لغويا متكاملا، تمزج فيه بين دقة ورقة اللغة الفصحى، وبين شدة وصلابة اللغة العامية التي تعبر عن الواقع المعيش . إذ أن اللغة العامية هي أسلوب لغوي شفوي غير رسمي يستخدم في التواصل اليومي بين أفراد المجتمع الواحد، تعكس هذه اللغة الحقيقية حياة الشعوب، وتتسم بالعفوية والسهولة .

تعبر اللغة العامية في الرواية عن التواصل الاجتماعي إذ تعد هي المكون الفعلي للخطاب في بعده الواقعي، و الوعاء الذي يحمل الهوية الثقافية والتقاليد المرتبطة بالمكان، إذ تعبر عن العادات والتقاليد، فتخلق جوا من الألفة كما تجعل التعبير عن المشاعر بعيداً عن الرسميات .

بينما اللغة العربية الفصحى تعبر عن القوة في التعبير . إذ أن اللغة العربية الفصحى تعد معياراً دقيقاً يحفظ تراث الأمة، وتتميز بدقتها ومحمولها الفكري، وقدرتها على التعبير عن المشاعر بدقة متناهية . "نظرت إلى السماء أحسست بنفَس اللعنة داخل صندوق أسود كبير، تقدمت أمامها ستائر غير ملونة تحرك الأيادي الخفية التي تسير الكون وتحرك دمى القراقوز"[1]

نلاحظ في هذا القول أن الكاتبة تدور في حلقة من الغموضتبث من خلالها رؤية معدومة ومجهولة، وتخمل كل معاني التوتروالقلق وفقدان الأمل والثقة فيمن حولها: " نحن نحتضر كل يوم، كل يوم يمر

1 رواية أودوميا، ص 41

على جزء من تعاستنا بالرغم من قوة إدراكنا لحقيقة مصيرنا، ندرك شحاحة الواقع والحياة، مع ذلك نكافح، نحاول، نسقط، نقف، نواصل... إلخ."[1]

كما نجدها تورد بعض المقاطع من اللغة العبرية،باعتبارها لغة ترتبط بالديانة اليهودية ارتباطًا وثيقًا، لغة الصلوات والطقوس في الديانة اليهودية، ووثيقة تاريخية ودينية، أي أن هذه اللغة كانت لغة الأنبياء في بني إسرائيل مثل موسى، داود، سليمان عليهم السلام.

إن حضور النظام اللغوي العبري يعد ضربا من الانحياز والتجريب التي خاضته الكاتبة بوعي تام بتاريخ هذه اللغة ومكانتها بين اللغات حيث تحولت من لغة مقتصرة على النصوص الدينية والطقوس، إلى لغة حية ومحلية فارتبطت بإبراز هوية الفتاة ساشا فهي ترمز إلى التسامح بين العربية والعبرية (اليهودية). حتى أن الفتاة ساشا حاولت أن تخفي هويتها اليهودية إلا أن تقبل الآخرين لها من المسلمين، دون وضع حدود بينها، جعلها تغير نظرتها من الآخر العربي المسلم، فتنخرط في حوارات مسالمة ، تنزع نزوعا إنسانيا وأبرزها إظهار تعاطفها مع ما يعانيه الفلسطينيين جراء الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني بتواطؤ أمريكي مخز .

وإضافة إلى هذا استعمال بعض المقاطع من اللغة الإنجليزية وكدا الفرنسية مما أعطى لأجداث الرواية تميزا لغويا وانفتاحا ثقافيا وخاصة حينما يتعلق الأمر بشخصية فرنسة أو بريطانية، وهنا تثبث الرواية قدرتها الفائقة على ربط الأفعال والشخصيات والأحداث بسياقها البيئي والثقافي واللغوي المناسب.

1 االرواية، ص150.

ومن هنا يمكن القول أن البعد الفني في الرواية اكسب الرواية خصوصية سردي طغى فيها الجانب الفني والخيالي على سلطة وزيف الواقع.

خلاصة:

انطلاقا مما قدمناه من تحليل حول تمظهرات الأنساق الثقافية في الرواية، يمكن القول أن رواية أودوميا كتجربة إبداعية أولية للروائية ليلى بوعكاز، حققت ما لم تحققه التجارب الناضجة، كونها تعبر عن وعي فني وجمالي ، كما تشرح وتحلل واقعا محليا، يعبر عن تناقضات الإنسان المعاصر، ونزوعه إلى تجاوز المألوف لتحقيق تميزه كفرد فاعل في المجتمع، فتخوض في قضايا العصر التي شكلت أطرت حياة الفرد المعاصر.

الخاتمة

الخاتمة

في ختام بحثنا عن الأنساق الثقافية في رواية أودوميا لليلى بوعكاز توصلنا إلى جملة من النتائج تمثلت في ما يلي:

1- يعد النقد الثقافي نشاطا فكريا تبرز ملامحه في القدرة على الكشف عن الأنساق المضمرة التي تحتوي عليها الخطابات الثقافية.

2-مرت الرواية الجزائرية بمراحل تطورية، أبرزت من خلالها قدرتها الفائقة على استيعاب تطورات الفكر النقدي، وما تقدمه النظرية الأدبية من مقولات مستجدة، وأبرزها الأنساق الثقافية باعتبارها مضمونا إشكاليا، يربط بين سلطة الموروث والهوية، والرؤى الفكرية والإيديولوجية التي أفرزتها مستجدات الحياة المعاصرة.

3- يعد عنوان الرواية "أودوميا" طرحا عميقا،للبعد الفكري والإيديولوجي، كونه ليس مجرد عنوان عادي بل هو بؤرة دلالية مكثفة من الأسئلة الفلسفة، نظرا لما يحتويه من عنصر الغرابة والغموض اللفظ" أودوميا " الذي يحمل رنيناً أسطورياً أو جغرافياً متخيلاً، التفكيك يبدأ من زعزعة الألفة الكائنة تضع القارئ أمام دال لا يحيل مباشرة إلى مدلول مألوف في المعجم العربي اليومي.، كما يشير إلى البعد اللامركزي لكونه يشتغل كمركز يؤسس لـ "يوتوبيا" خاصة بتصوير زيف الواقع، مما يجعل المعنى هلامياً أو مفتوحاً على احتمالات تأويلية متعددة، متجاوزاً السلطة التفسيرية الأحادية، إلى البعد التأويلي المتعدد السياقات.

4- تنم الرواية عن إبراز اهتمام الروائية بالأوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمع الجزائري، وذلك بما تضمنته من أنساق ثقافية عميقة تعكس الواقع الاجتماعي الجزائري وتحاوره في أبعاده المختلفة.

5- تقوم الرواية بفك جملة من البنى الفكرية، التي ترتكز على ثنائيات منها الثنائيات الصامتة والمسكوت عنه، وإظهار التمازج اللغوي بين الشعوب، إذ يعتبر الخطاب ليس مجرد نص عابر بل فضاء تجريبي دمج بين الواقع التسجيلي وخصوصية البنية السردية من خلال ربطها بالأبعاد الجماليات و الفلسفية.

6-- ظهر النسق السياسي في الرواية من خلال نقد الرواية لأخطاء السلطة السياسية وإبراز مظاهر الاستبداد الذي نجم عنه الصراع الطبقي، وذلك من خلال الكشف على مجموعة من الأنساق المضمرة التي تكشف بدورها عن خطاب السلطة والتحكم في الجانب السياسي.

7- يمثل النسق اللغوي أداة مهمة في توضيح اختلاف مستويات التعبير اللساني في بعده الثقافي والهوياتي حيث توزعت اللغة بين الفصحى والعامية، والإنجليزية وكذلك العبرية مما يوحي بالأبعاد التي سطرتها الرواية كقيم الحوار والتسامح بين الأديان والشعوب والثقافات.

الملحق:

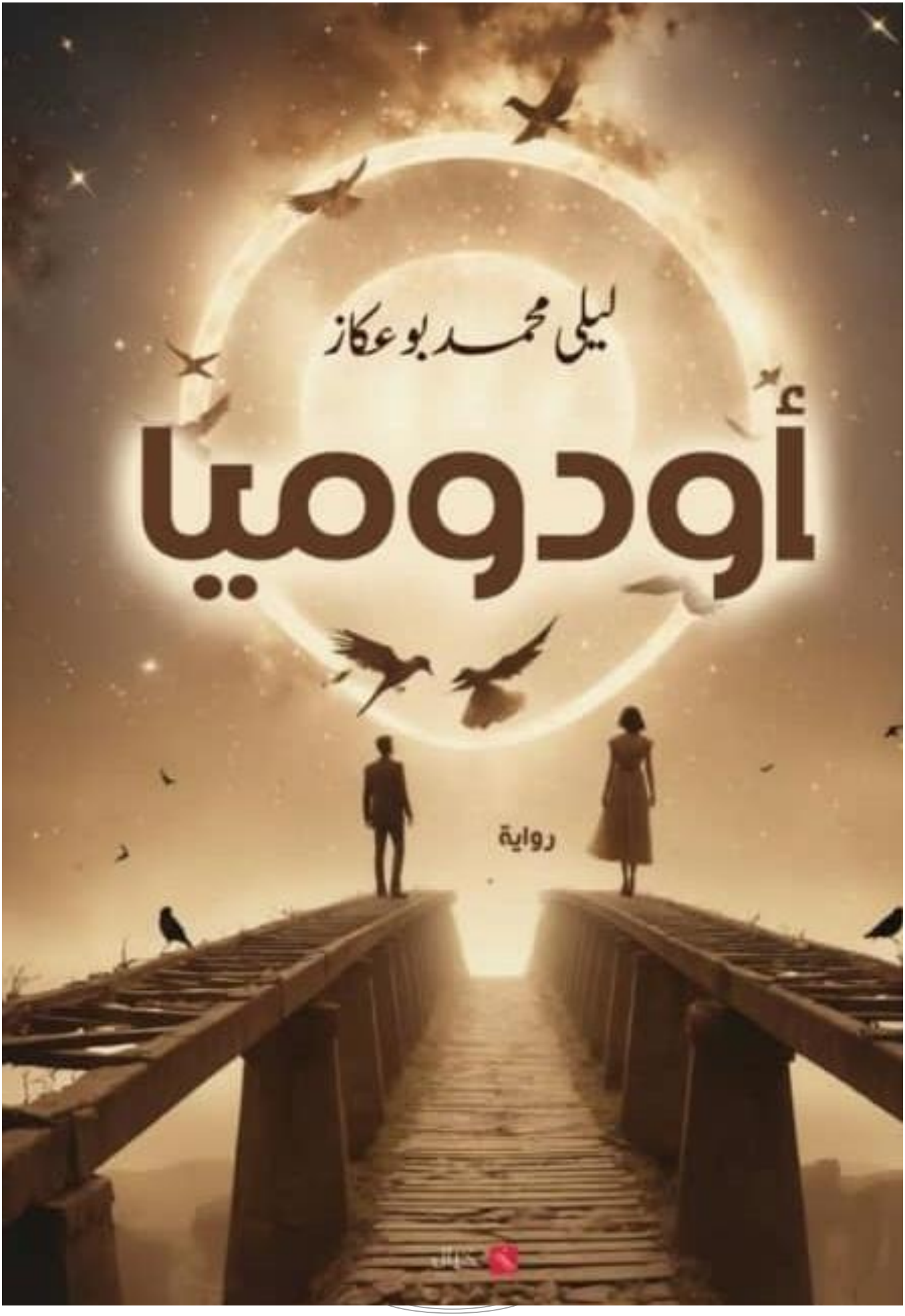
ليلى محمد بوعكاز
أودوميا
رواية

السـيـرة الذاتيـــة

البيانات الشخصية

–الاسم الكامل:ليلى بوعكاز

–الجنسية:جزائرية

الهاتف المحمول : 213661420458

العنوان البريدي: ص.ب 188 تبسة

العنوان الإلكتروني: bouakezleila@gmail.com

الدرجات العلمية

- درجة دكتوراه سنة 2015 تخصص تحليل الخطاب وعلم النص، بتقدير مشرف جدا، الجيلالي اليابس –سيدي بلعباس–
- درجة ماجستير 2012 تخصص تحليل الخطاب، بتقدير جيد جدا، جامعة الشيخ العربي التبسي – تبسة–
- درجة الليسانس 2010 في الأدب العربي ،كلية الآداب جامعة الشيخ العربي التبسي –تبسة–

العمل الحالي:

-أستاذة محاضرة "أ" ، قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب و اللغات جامعة جيجل.

– المواد التي أدرّسها: الأجناس الأدبية، نظرية القراءة والتأويل، الآداب العالمية المعاصرة، المناهج النقدية المعاصرة. النثر في بلاد الشام والخليج، الخطاب والإيديولوجيات، المسرح المغاربي ، تقنيات البحث

المنصب الإداري

- رئيس قسم كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية : سنة 2023/2022

الملتقيات الوطنية والدولية:

- اليوم الدراسي بجيجل مارس 2018 حول الخطاب والنص بين النظرية والتطبيق، عنوان المداخلة: دور الخطاب التشكيلي في رسم ملامح الأنا والهوية قراءة في لوحات الفنان التشكيلي "مفتاح زبيلة"
- الملتقى الوطني بعين تموشنت ديسمبر 2018 الخطاب الإشهاري الأسس اللسانية والأطر المعرفية عنوان المداخلة: الإرساليات البصرية عودة الوحي لنسف نسق الوعي –قراءة تقويضية للخطاب الإشهاري للفايس بوك.
- الملتقي الوطني بجيجل ديسمبر 2018 الرواية الجزائرية وسياقات مابعد الكولنيالية قراءة في المرجعيات وأشكال التمثيل " عنوان المداخلة":خارطة السرد النسوي الجزائري بين سلطة الخطاب المركزي والسرد المضاد لإثبات الهوية رواية تاج الشرف العظيم أنموذجا.
- الملتقى الدولي بالقيروان جانفي 2019 تونس الخطاب الأدبي والتطرف الديني "عنوان المداخلة" :كتابة الأزمة بين الرهان الصعب وطوباوية الرؤية قراءة في رواية تماسخت دم النسيان للحبيب السائح.

- الملتقى الوطني تيزي وزو جوان 2019 الرواية الجزائرية المعاصرة في منظور الدراسات الثقافية " عنوان المداخلة" : مغامرة النص السردي في قمع النسق المضمر قراءة في روايتي الموت في وهران وتلك المحبة للحبيب السائح.
- الملتقي الدولي بسوسة ديسمبر2019 تونس المدينة في الخطاب الأدبي عنوان المداخلة: أبعاد المدينة في رواية حمام الذهب لمحمد عيسى المؤدب.
- الملتقى المغاربي بتلمسان فبراير 2020 الموسوم بالتسويق اللغوي والتنمية السياحية رهان اللغة العربية" عنوان المداخلة: التراث الثقافي اللامادي إيقاع الحرف وتأشيرة الدخول في قائمة التراث الإنساني العالمي".
- الملتقى الدولي بجيجل ديسمبر 2022 الموسوم ب التداولية الأصالة والحداثة نظريات والمناهج علاقات وروافد، عنوان المداخلة، مقاربة تداولية في مسرحية محاكمة جحا.
- الملتقى الدولي بجيجل فيفري 2023 الأدب وفكرة التسليع من ثقافة النخبة إلى ثقافة الجماهير، عنوان المداخلة، موضة الجنس بين وعي الكتابة وسلعنة الخطاب قراءة في رواية شارع إبليس للأمين الزاوي.

- المقالات المشورة

- المقال الموسوم: السرد العربي تفكيك للأزمة واحتضان للوجود: قراءة في رواية جهاد ناعم لمحمد عيسي المؤدب، مجلة الحياة الثقافية التونسية ، ع306، 2019
- المقال الموسوم: الفن المسرحي ترياق الشعوب وورشة لتطهير الذات الإنسانية، قراءة في مسرحية الهربة لغازي الزعباني، مجلة منتدى الأستاذ، العدد 01- المجلد 17، 2021

- المقال الموسوم المتعاليات النصية تكسير لقوقعة النص/التمثيلي والدخول في متاهته قراءة في مسرحية محاكمة جحا، مجلة مدارات، ع5، 2021
- تعليمية اللغة لغير الناطقين بها من الروس مادة التعبير الكتابي والشفوي أنموذجا، مجلة ألف ، المجلد 10، ع 04 ، 2023
- The Dilemma Of Dialogue And The Ordeal Of Coexistence In Ilkogretim -The Novels Of Mohammed Eissa Al-Mu'adab Online - Elementary Education Online, 2024; Vol 23 (Issue 1): pp. 203-217 http://ilkogretim-online.org doi: .10.17051/ilkonline.2024.01.15
- إضمار الهوية والانسلاخ عن الواقع. قراءة تفكيكية لرواية أنا وحاييم لحبيب السائح- أنموذجا ، مجلة ألف،المجلد 12، ع2، 2025

- الكتب الجماعية

- كتاب جماعي " المصطلحات المفاتيح كتيب تدليلي في اللسانيات والنقد والأدب ، دار الألمعية ، الجزائر - قسنطينة- 2022
- كتاب جماعي : الصدمة وبناء الخطاب، دار الخيال للنشر والتوزيع، برج بعريريج –الجزائر- 2024.
- كتاب جماعي: السجن في آداب العالم ، منشورات المثقف العربي، باتنة –الجزائر- 2025
- كتاب جماعي : مقاربات وفق المنظور العرفاني ، دار المثقف العربي باتنة –الجزائر- 2026

- المشاريع

- رئيس مشروع prfuشعبة الدراسات اللغوية .

عنوان المشروع: حوار الحطابات بين تعدد الأنساق و تداخل التخصصات

المصطلح_النظرية_التطبيق

المؤلفات

رواية أودوميا: دار الخيال ، برج بوعريريج،الجزائر ط1، 2025.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. رواية أودوميا: دار الخيال ، برج بعريريج،ط1– الجزائر– 2025

المراجع بالعربية:

2. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 10، ط 1، 1990.
3. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2002.
4. أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دط، 2010
5. الأزهري (محمد بن أحمد) تهذيب اللغة تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج9، ط1، 2001.
6. بن جمعة بوشوشة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للنشر، دط، 2003.
7. تاج العروس من جواهر القاموس (مادة ن س ق) محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الحكومة ، الكويت .

8. ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة، الثقافة وعناصرها، دار الأعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015.

9. جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، نظرية الأنساق الممتدة، الناشر مطبعة طوان، المغرب، ط1، 2016 .

10. حسن خمري، فضاء المتخيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002.

11. حسين الصديق ،الإنسان و السلطة ،إتحاد كتاب العرب، دمشق ، 2001 .

12. ضياء الكعبي، السرد العربي القديم(الأنساق الثقافية واشكالية التأويل) ، دار الفارسي للنشر والتوزيع،عمان، ط1 ، 2005 .

13. الطاهر وطار , اللاز ,الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر،ط1 ،1972.

14. عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري(1967-1925)،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط، دت.

15. عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية (1882 - 1952)،دار الثقافة، بيروت، ط1، 1989.

16. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري 1830 - 1974، الدار العربية للكتاب، طنجة، دط، 1973.

17. عبد الفتاح، أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان، ط1، 2010

18. عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: حوارات لقرن جديد(نقد ثقافي أن نقد أدبي)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003.

19. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3.

20. عبد المالك مرتاض ,فنون النثر الادبي في الجزائر ,المؤسسة الوطنية للكتاب,1999 .

21. الفراهيدي (الخليل بن أحمد) معجم العين: تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

22. الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ، ج 04.

23. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، باب القاف، فصل النون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1992.

24. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تج :عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005.

25. مجمع اللغة العربية: الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

26. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.

27. محمد المعبود مرسى، علم الاجتماع، نقلاً عن تالكوت بارستونز، بين نظرية العقل والنسق الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية، ط1. 2001.

28. محمد عبد الكريم العمري، السياق والأنساق دار التضامن،لبنان، ط1، 1434 هـ - 2013.

29. محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ط 1 ،2003 .

30. مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2013.

31. واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.

32. يحي مرسي بدر، أصول علم الإنسان الأنثربولوجيا، دار الوفاء، مصر، ط1 ،2007.

33. يمني العيد، تقنيات السرد الروائي، دار الفارابي، بيروت، ط1، .

المراجع المترجمة:

1. جون ستوري، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية: تر: صالح خليل وآخرون، أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2014.

المجلات، والموقع الإلكترونية:

1. مجمعة برجوج، النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي، مرباح ورقلة، ع 11، ديسمبر 2016.

الفهرس:

المقدمة.....ص أ

الفصل الأول : الإطار النظري للدراسة.

1– مفهوم النسق..... ص6

أ–لغة ص6

ب– اصطلاحا.....ص9

2– مفهوم الثقافة ص13

أ– لغة ص13

ب– إصطلاحا.....ص15

3–مفهوم النسق الثقافي. ص20

4–النسق الثقافي والنص الأدبي.....ص24

5–أنواع الأنساق الثقافية.

أ–النسق الظاهر.....ص25

ب–النسق المضمر.....ص26

6–مفهوم النقد الثقافي.....ص28

7–مراحل تطور الرواية الجزائرية المعاصرة بين النص و السياق.....ص29

خلاصة:.....ص32

الفصل الثاني: تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية أودوميا.

تمهيد:.....ص38

1–النسق التراثي.....ص38

2–النسق العلمي.....ص43

3–النسق الذكوري.....ص46

4–النسق الأنثوي.....ص49

5–النسق الديني.....ص51

6–النسق الفلسفي.....ص53

7–نسق الموت والجريمة.....ص57

8– النسق الأدبي والفني.....ص59

خلاصة.....ص64

الخاتمة.....ص66

الملخص:

تتناول هذه الدراسة بالقراءة والتحليل لرواية أودوميا من خلال مقاربة نقدية ثقافية تسعى إلى تتبع تمظهرات الأنساق الثقافية المختلفة التي تتضمنها الرواية، من خلال الوقوف على الجوانب النظرية المحيطة بالموضوع من مفاهيم متعلقة بمقولات النقد الثقافي أبرزها النسق والثقافة والنسق الثقافي، وتتبع المسار التطوري للرواية الجزائرية وقوفا عند المرحلة المعاصرة التي تميزت بخصوصية سردية أبرزها تناول إشكالية الأنساق الثقافية، ومدى وكيفية حضورها في الرواية الجزائرية المعاصرة، والوقوف على ما يضمره النص الروائي موضوع الدراسة من أنساق، تبرز توجهات الكاتبة ورؤيتها النقدية لما يعتري المجتمع المعاصر من تناقضات وتزييف صارخ، وهنا تمكنت دراستنا من الربط المنطقي والجمالي بين النسق كمعرفة والنسق كفن تتحدد جمالية في تقنية الحضور والتحفي في المتن السردي.

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية المعاصرة، الأنساق الثقافية ، رواية أودوميا، البعد الفني والجمالي.

Abstract/

*This study examines and analyzes the novel *Odomia* through a cultural-critical approach that seeks to trace the manifestations of the various cultural patterns contained within the novel by exploring the theoretical aspects relevant to the subject, drawing on concepts related to cultural criticism—most notably, pattern, culture, and cultural pattern— It traces the evolutionary trajectory of the Algerian novel, focusing on the contemporary phase, which is characterized by a distinctive narrative approach—most notably its engagement with the issue of cultural patterns—and examines the extent and nature of their presence in contemporary Algerian novels, while also identifying the cultural patterns implicit in the novel under study. It highlights the author's perspectives and critical vision regarding the contradictions and blatant distortions plaguing contemporary society. Here, our study has succeeded in establishing a logical and aesthetic connection between the paradigm as knowledge and the paradigm as art, whose aesthetics are defined by the technique of its presence and manifestation within the narrative text.*

Keywords: *contemporary Algerian novel, cultural patterns, the novel *Odomia*, artistic and aesthetic dimensions.*